وزارة التعليم العالي والبحث العلمي

جامعة محمد بوضياف بالمسيلة

كلية: العلوم الإنسانية والاجتماعية

قسم: التاريخ

الرقم التسلسلي:.....

رقم التسجيل: **171735096177**

نشاط البحرية الجزائرية خلال العهد العثمانية بين الجهاد والقرصنة

مذكرة مقدمة لنيل شهادة الماستر أكاديمي **LMD** في تخصص: تاريخ الجزائر الحديث

إعداد الطالب:

صحراوي توفيق

أمام لجنة المناقشة:

الرقم	الاسم واللقب	الرتبة العلمية	الجامعة	الصفة
1				رئيسا
2	د. منى صالحي	أستاذ محاضر أ	جامعة المسيلة	مشرفا ومقررا
3				ممتحنا

السنة الجامعية: **2022/2021**

جامعة محمد بوضياف - المسيلة
Université Mohamed Boudiaf - M'sila

شكر وتقدير

بعـــــد أن وفقـــني الله سبحانـه وتعـالى لإنـجاز هـــذا العـمل المتواضـع لا يسعني إلا أن أتقـــدم بجزيـــل الشكـر للأستـــاذة المشرفة **د. منى صالحي** الـتي كـان لـها الفضـل فـي اختيار هذا الموضـوع الشيـق، فلها مني أسمـى عبارات الـــود والامتنان.

كمـا أتقـــدم بتشكراتـــي لكـــل الأساتـــذة الأفـاضـل الذين لم يبخلـوا علينـا بالتوجيهـات والنصائـح طيلة المسار الدراسـي.

وإلى كـل مـن ساعـدني مـن قـريب أو من بعيد لإتمـام هـذا العمـل المتـــواضع.

جامعة محمد بوضياف - المسيلة
Université Mohamed Boudiaf - M'sila

صحراوي توفيق

إهداء

أهدي هذا العمل المتواضع إلى من

أمرنا الله سبحانه وتعالى ببرهما،

الوالدين الكريمين أطال الله في

أعمارهما، وإلى كل من له حق علينا،

وإلى كل الأصدقاء الأفاضل، وكل من

ساعدني لإنجاز هذا العمل.

مقدمة

1985
جامعة محمد بوضياف - المسيلة
Université Mohamed Boudiaf - M'sila

مقدمة:

شـــهدت بداية القرن الســـادس عشـــر ميلادي تغيرات جذرية على المســـتوى الســـياســـي لمنطقة المغرب الإسلامي، فبعد أن تمكنت إسبانيا من القضاء على مملكة غرناطة آخر معاقل المسلمين في الأندلس سنة 1492م توجهت بأنظارها نحو سـواحل شمال إفريقيا، يحركها بذلك الدافع الديني التوسـعي والرغبة في الانتقام من مسـلمي الأندلس والسعي لنشر الحضارة الغربية المسيحية، مستغلين الظروف السياسية المتدهورة التي شهدتها المنطقة.

إلا أن ظهور الإخوة بربروسا في سواحل المتوسط وانضمام الجزائر إلى للدولة العثمانية سنة 1519م، كان إيذانا ببداية فصل جديد من فصول الصراع الإسلامي المسيحي في الحوض الغربي للمتوسط، فقد ظهرت الجزائر في هذه الفترة كقوة بارزة، مارست نشـاطا بحريا مكثفا ردت به العدوان الصـليبي ودافعت عن البلاد الإسـلامية في إطار "**الجهاد البحري**"، الذي حث عليه الدين الإسلامي الحنيف. في المقابل يرى أغلب المؤرخين الغربيين أن هذا النشـــاط البحري الذي قام به الأســـطول الجزائري في البحر الأبيض المتوســـط لا يعدو إلا أن يكون "**قرصـــنة**" ولصوصية بحرية. وبين هذا وذاك، سنحاول إعطاء النظرة التاريخية الموضوعية لنشاط البحرية الجزائري خلال العهد العثماني.

ومن هنا جاء موضوع دراستنا الموسوم بـــ "**نشاط البحرية الجزائرية خلال العهد العثماني بين الجهاد والقرصنة**" من أجل تسليط الضوء على هذه الفترة المهمة من تاريخ الجزائر الحديث.

طرح الإشكالية:

هل يمكننا اعتبار العمليات التي قام بها الأســطول الجزائري عملا بحريا مشــروعا وأمرا طبيعيا تقوم به كل الأساطيل في تلك الفترة؟ أم كان عملا فرديا خارجا عن العرف الدولي في ذلك الوقت، يدخل في إطار اللصوصية البحرية والقرصنة التي عكرت صفو الملاحة والتنقلات البحرية في البحر الأبيض المتوسط؟

جامعة محمد بوضياف - المسيلة
Université Mohamed Boudiaf - M'sila

وتتفرع من هذا الإشكالية مجموعة من الأسئلة الفرعية والتي نذكر منها:

ـ ماهي أهم الأدلة التي ارتكز عليها أصحاب الأطروحة الأولى والمتمثلة في القرصنة البحرية؟

ـ ماهي أهم الأدلة التي ارتكز عليها أصحاب الأطروحة الثانية والمتمثلة في الجهاد البحري؟

ـ وهل يمكننا إيجاد نظرة موضوعية من خلالها نقف على الحقيقة التاريخية البعيدة عن الميول العاطفي والإيديولوجية الفكرية؟

عرض خطة البحث:

ومن أجل معالجة الموضوع قسمت الدراسة إلى ثلاثة فصول ومدخل تمهيدي، تضمن المدخل التمهيدي الحديث عن البحرية الجزائرية خلال العهد العثماني، والذي تناولت فيه التشكيل البشري للأسطول البحري الجزائري وكذا الحجم المادي لهذا الأسطول، من خلال التطرق للبدايات الأولى التي شهدتها الجزائر في مجال تطور صناعة السفن وكذا أنواع وعدد وحدات الأسطول البحري خلال العهد العثماني.

أما الفصل الأول فقد عالجت فيه الأطروحة القائلة (**القرصنة البحرية**) وتناولت فيه الآراء الداعمة لهذا الطرح، بداية بالحديث عن مصطلح القرصنة وكيف حاول المؤرخون الغربيون ربطه بنشاط البحرية الجزائرية، إضافة إلى قضية الأسرى المسيحين التي احتلت حيزا كبيرا في كتابات الرهبان وكذا بعض الموكلين بعملية الافتداء، والصورة السوداء التي رسموها عن حياتهم اليومية القاسية في الجزائر. لنختم هذا الفصل بنقد وتحليل لهذا الرأي.

ثم عالجت في الفصل الثاني الأطروحة القائلة (**الجهاد البحري**) وفصلت في الأسباب والدوافع التي استند عليها أصحاب هذا الرأي لإطلاق مصطلح الجهاد البحري على نشاط البحرية الجزائرية خلال العهد العثماني. لنختم هذا الفصل بنقد وتحليل لهذا الرأي.

أما الفصل الثالث والأخير فكان بعنوان الرؤية التاريخية لنشاط البحرية الجزائرية خلال العهد العثماني، والذي حاولت فيه إبراز الحقيقة التاريخية بكل موضوعية بعيدا عن التشويه الذي أطلقه أصحاب الأطروحة الأولى، وبعيد أيضا عن الميول العاطفي والشخصي الذي قد ينتاب أصحاب الأطروحة الثانية.

وأنهيت البحث بخاتمة حاولت من خلالها الإجابة على الإشكالية المطروحة، مع جملة من الاستنتاجات والنتائج المتوصل إليها، خاصة فيما تعلق بنشاط البحرية الجزائرية ودورها في الصراع الإسلامي المسيحي.

الدراسات السابقة:

_ مذكرة ماجستير موسومة ب "نشاط البحرية الجزائرية في القرن السابع عشر وأثره في العلاقات الجزائرية الفرنسية"، لمؤلفها "عطلي محمد الأمين"، (2012/2011م)

والذي تطرق إلى البعد الجهادي لنشاط البحرية الجزائرية خلال العهد العثماني، والدور الذي لعبه الأسطول الجزائري في تدعيم خزينة الدولة من خلال حجم العائدات البحرية والعوامل التي أدت إلى إضعاف البحرية الجزائرية.

جامعة محمد بوضياف - المسيلة
Université Mohamed Boudiaf - M'sila

_ مقال علمي موسوم ب " دور الجزائر في معارك البحر المتوسط خلال القرن 16م (مواجهة المشروع المسيحي)" تاريخ نشره (ديسمبر 2020م) مؤلفه " درويش الشافعي"

حيث تطرق إلى الدور الذي لعبته الجزائر في الحوض الغربي للمتوسط، وكيف استطاعت فرض هيبتها ومكانتها بفضل أسطولها البحري الذي جعل من إيالة الجزائر قوة لا تقهر لأزيد من ثلاث قرون. كما تناول الكاتب أهم المعارك البحرية التي شاركت فيها الجزائر في إطار الصراع الإسلامي المسيحي.

دوافع إعداد المذكرة:

_ الدوافع الذاتية المتمثلة في الرغبة الشخصية لدراسة تاريخ الجزائر خلال الفترة العثمانية، لما تحمله هذه الحقبة من أهمية تاريخية بارزة.

_ يعتبر موضوع البحرية الجزائرية خلال العهد العثماني، وبالتحديد ما بين 1518 – 1830م من المواضيع التي طالما كانت محل اهتمام الباحثين الغربيين والمحليين، بحيث لا تخلو المصادر والمراجع المختصة في هذه الفترة، من الحديث عن البحرية الجزائرية، ودورها في بناء اقتصاد الجزائر، والحفاظ على سيادتها، وهذا ما دفعني للبحث في أهم مظهر من مظاهر القوة، الذي عرفته الجزائر في الفترة الحديثة.

_ الرغبة في تقديم مساهمة ولو بسيطة ومتواضعة لإثراء المكتبة الجامعية بدراسة عن الصراع الإسلامي المسيحي الذي ميز تاريخ الجزائر خلال العهد العثماني.

الصعوبات:

_صعوبة تغطية الفترة الزمنية المدروسة والمتمثلة في أزيد من ثلاث قرون من الزمن

_شملت الدراسة رأيين مختلفين ومتناقضين تماما، تميزا بكثرة الدراسات والأبحاث مما صعب علينا التحكم والسيطرة في الموضوع والإلمام بكل حيثياته.

_ يعتبر موضوع نشاط البحرية الجزائرية خلال العهد العثماني من المواضيع الدسمة التي تحدثت عليها الدراسات الغربية من خلال كتابات بعض المصادر الأجنبية التي عايشت تلك الفترة، ما صعب علينا الإحاطة بمختلف جوانب الموضوع.

جامعة محمد بوضياف المسيلة
Université Mohamed Boudiaf - M'sila

المنهج المتبع في الدراسة:

للإجابة على الإشكالية المطروحة اعتمدت على المنهج الجدلي الذي تقتضيه دراسة هذا الموضوع من خلال عرض آراء وتفسيرات كل طرف على حدى ومن ثم نقده وتحليله، إضافة إلى المنهج التاريخي الوصفي من خلال وصف الأحداث التاريخية بالاعتماد على جملة من المصادر والمراجع المتاحة، يتخلله بعض من تحليل المعطيات التاريخية للوصول إلى تفسير موضوعي ودقيق لنشاط البحرية الجزائرية. لنصل في الأخير إلى الرأي الموضوعي البعيد عن كل ميول.

وفي الأخير لا يسعني إلا أن أتقدم بجزيل الشكل والامتنان للأستاذة **د. منى صالحي**، التي أشرفت على إنجاز هذا العمل المتواضع من خلال المرافقة الدورية والمستمرة لي، وكذا تقديم النصائح والتوجيهات لإنجاز هذه المذكرة.

فجازاها الله عنا كل خير ووفقها لما يحبه ويرضاه. كما لا يفوتني أن أتقدم بأسمى عبارات الشكر لكل أساتذة قسم التاريخ نظير المجهودات المبذولة طيلة هذا المسار الدراسي، راجيين من الله عز وجل أن يجعل كل ما بذلوه في سبيل ذلك في ميزان حسناتهم يوم القيامة.

جامعة محمد بوضياف - المسيلة
Université Mohamed Boudiaf - M'sila

المدخل التمهيدي: البحرية الجزائرية خلال العهد العثماني

المبحث الأول: التشكيل البشري للبحرية الجزائرية خلال العهد العثماني

المبحث الثاني: الحجم المادي للأسطول الجزائري خلال العهد العثماني

المبحث الأول: التشكيل البشري للبحرية الجزائرية خلال العهد العثماني

المطلب الأول: ديوان الرياس

المطلب الثاني: طائفة الرياس

المطلب الثالث: طاقم السفينة

المبحث الأول: التشكيل البشري للبحرية الجزائرية خلال العهد العثماني

لقد كانت البحرية الجزائرية خلال العهد العثماني منظمة تنظيما جيدا، بحيث أن العمليات العسكرية التي قامت بها كانت تحت إشراف مؤسسات وهياكل أضفت عليها طابع الحكومية، البعيدة عن الأعمال الفردية، ومن بين أهم الهيئات التي نظمت عملية الجهاد البحري نذكر:

المطلب الأول: ديوان الرياس

يعتبر من الهيئات الجديدة المنبثقة عن الديوان العام، وتعود فكرة إنشائه إلى الأميرال البحري **مزومورتو** الذي جمع مجلسا متكونا من رياس الجزائر لمناقشة العلاقات مع فرنسا، حسب رسالة القنصل الفرنسي المؤرخة بتاريخ 23 أفريل1687م، وكانت مشاكل الحرب والسلم من اختصاص الديوان العام، لكن **مزومورتو** حاول إقناع الرياس بعدم معارضة مشروع السلم قبل أن يعرضه على الديوان العام، (المنور، 2009، الصفحات 409-410) وهو ما يعطينا فكرة عن مدى أهمية هذا المجلس وكذا نفوذه الكبير في السلطة، وكان يتألف من كبار المسؤولين في البحرية، ومن الرياس، وكان من مهامه بحث أهلية المرشحين لمنصب رايس وأن يعرض على الداي قرار تعيين من أقترحهم الديوان، وكان يحضره كبار موظفي البحرية والرياس وهم: (المنور، 2009، صفحة 410)

- **وكيل الحرج:** يعتبر منصب وكيل الحرج من أهم المناصب في الجزائر العثماني، فقد تحولت مهامه منذ

القرن السادس عشر من مجرد محتسب للمستودعات والمخازن الخاصة بالترسانة البحرية، إلى المسؤول الأول على البحرية الجزائرية بالإضافة إلى العلاقات الخارجية، (حنيفي هـ.، 2007، صفحة 262) فقد شملت مسؤولياته جميع أنواع النشاطات التي تتعلق بالميناء سواء منها العسكرية أم التجارية، بالإضافة إلى تسوية المسائل الخاصة بعلاقات الإيالة مع الدول الأوربية، (خليفة، 1988، صفحة 63) وكان يتمتع بنفوذ كبير وتقدير فائق وصلاحيات واسعة جعلت منه شخصية هامة في الجزائر العثمانية. (ليسور و ويلد، 2002، صفحة 36)

- **القبودان:** يعد من أبرز وأقوى ضباط البحرية الجزائرية، فهو القائد العام للأسطول عند خروجه لأي

نشاط بحري، لكن تراجعت مكانته وقوته بسبب قوة وكيل الحرج. (حنيفي هـ.، 2007، صفحة 53)

- **قائد المرسى:** هو القائد المسؤول عن الميناء، فهو الذي يشرف على عمليات مراقبة الميناء وتفتيشه،

وكانت له سفينة يجوب بها شواطئ المدينة لمراقبة حركة السفن التي تدخل وتخرج بالإضافة إلى معرفة طبيعة مهام كل سفينة وكذا هويتها. (عائشة ج.، 2017-2018، صفحة 128)

- **واردیان باشي**: هو من أبرز موظفي البحرية الجزائرية، كونه المسؤول على الأعمال التي يقوم بها الخدم الذين كان أغلبهم من الأسرى الأوربيون، وكان يعين العدد اللازم من الخدم لكل سفينة، (حنيفي هـ.، 2007، صفحة 55) ويعد هو الضابط المسؤول عن الشرطة ومراقبة أرصفة الموانئ. (Albert, 1872, p. 5)

- **خوجة الغنائم**: من مهامه بيع وجرد الغنائم، وقسمة دخلها بين المستحقين. (محمد الامين، 2011-2012، صفحة 81)

المطلب الثاني: طائفة الرياس

لقد تكونت البحرية الجزائرية خلال العهد العثماني من ثلاثة عناصر أساسية: وهم المسلمون المنحدرون من مختلف مناطق الإمبراطورية العثمانية، والأعلاج، وأخيرا الأقلية الجزائرية من سكان الإيالة، (حنيفي هـ.، 2007، صفحة 258) ومع تزايد النشاط البحري شكلت هذه الطائفة المحرك الأساسي للإيالة، خاصة في العهد الأول، وكان لها دور كبير في ثراء الإيالة وكذا حجم العائدات البحرية من غنائم البحر وعدد الأسرى، بعدما توسع نطاق نشاطها من البحر المتوسط إلى المحيط الأطلسي، (محمد ب.، 2017، صفحة 88) كما تمتعت هذه الطائفة بحب واحترام كبير لدى الشعب الجزائري نظير مجهوداتها التي ساهمت في حماية البلاد من كل الهجمات البحرية، ولكثرة العائدات البحرية أصبحت طائفة رياس البحر غنية جدا وتتمتع بنفوذ كبير لدى السلطة الحاكمة (محمد ب.، 1981، صفحة 42) وعلى الرغم من تعدد الفئات العرقية لهذه الطائفة إلا أنها كانت ترتبط فيما بينها ارتباطا روحيا يجمعها الدين الإسلامي والجهاد في سبيل الله، (محمد الامين، 2011-2012، صفحة 83)

وقد اتصفت هذه الطائفة بالشجاعة وقوة البأس حيث يقول عنها **التمقروتي** ".. ورياس الجزائر موصفون بالشجاعة وقوة الجأش، ونفوذ البصيرة في البحر، يقهرون النصارى في بلادهم. فهم أفضل من رياس القسطنطينية بكثير وأعظم هيئة وأكثر رعبا في قلوب العدو.." (مولاي، 1981، صفحة 57)

ويقول عنهم **غرامون** بأنهم أفضل وأشجع البحارة في البحر الأبيض المتوسط بدون منازع. (De Grammont, 1887, p. 50)

أما عن عدد الرياس فقد أحصى **هايدو** سنة 1581م 35 قبطان، لكل واحد منهم سفينته الخاصة. منهم 12 من الجزائريين، وأن الأسطول الجزائري في تلك الفترة كان يتكون من 25 سفينة صغيرة، يقود معظمها ضباط جزائريون. (علي ت.، 2013، صفحة 133)

المطلب الثالث: طاقم السفينة

لقد كانت السفن الجزائرية خلال العهد العثماني خاصة الكبيرة منها تضم ثلاث مجموعات رئيسية وهي:

- **مجموعة القيادة:** وتضم هيئة ضباط السفينة وهم: الرايس (قبطان السفينة)، فهو قائد السفينة وهم من يقودها وكلمته هي العليا وكل من على السفينة عليه وجوب الطاعة والاحترام، (جون، 2002، صفحة 196) وكان يعين من طرف مجلس طائفة الرياس، ممن يكون له دراية بشؤون الملاحة البحرية والمهارة والشجاعة، وأقدم الرياس كان يتولى أمير البحر، (نورالدين، 2006، صفحة 86) إضافة إلى الباش رايس أي مساعده، ورايس العسة ناظر الطاقم، والخوجة أي كاتب الرايس، والباش جراح، الوردبان باشي، ناظر الأسرى، ورياس الطريق وهم المكلفون بقيادة الغنائم، ومدير الدفة. (امين ، 2013، صفحة 36)

- **مجموعة المناورة:** تضم ربابنة السفينة: وهم اليرفانجي والغارده كايو والبريتاجي، وهم من تولوا أمر الأشرعة في السفن الثلاثية الصواري، والدمانجي ملاح الدفة، والصندل رايس، رايس القارب، والمسترداش، معلم نجار، والقلفاط الذي يسهر على بدن السفينة والعنبرجي مسؤول مخزن المؤن، والخزناجي مسؤول مخزن الذخيرة، ووكيل الخرج مسؤول التموين، وكان أغلب البحارة من الأعلاج والأسرى المسيحيين. (امين ، 2013، صفحة 36)

- **المجموعة القتالية:** وكانت تتكون أساسا من الوحدات الإنكشارية، تحت قيادة آغا برتبة بلوكباشي إلى جانب طوبجية تتولى أمر المدفعية في السفينة. (محمد الامين، 2011-2012، صفحة 84)

وكان يشرف على شؤون السفينة مجلس يتكون من الرايس وعدد من الضباط وآغا وخوجة (كاثكارت ، 1982، صفحة 79)

وحين يصدر الداي أمرا بتجهيز الأسطول للخروج، يمنع مغادرة السفن التجارية للميناء ويحبس العبيد منعا لأي محاولة هروب، كما يعين لكل سفينة خبيرا لمعاينة الأشرعة وإصلاحها، تحت إمرته عدد من البحارة، ويأتي الإمام لقراءة الفاتحة والدعاء لتحقيق الانتصار على أعداء الإسلام. (كاثكارت ، 1982، صفحة 77)

المبحث الثاني: الحجم المادي للأسطول الجزائري خلال العهد العثماني

المطلب الأول: تطور الأسطول الجزائري خلال العهد العثماني

المطلب الثاني: أنواع وحدات الاسطول الجزائري

المبحث الثاني: الحجم المادي للأسطول الجزائري خلال العهد العثماني

عرفت منطقة الحوض الغربي للبحر المتوسط خلال القرن 16م تحولات كبرى خاصة فيما يتعلق بالصراع الإسلامي المسيحي، هذه التحولات دفعت بالدولة العثمانية إلى تغيير طابعها العسكري من البري إلى البحري ليتماشى مع الوضع الجديد، فكان للإخوة بربروسة دور كبير في تشكيل أسطول بحري قوي استطاعت الدولة الجزائرية أن تحمي به حدودها وتفرض هيمنتها وتبسط نفوذها على الحوض الغربي للمتوسط لأزيد من ثلاث قرون، (كمال ، 2014، صفحة 575) ويعد الصراع الإسباني العثماني والذي لعبت الجزائر دورا هاما فيه باعتبارها منطقة للصراع القائم سببا أساسيا في تطور وازدياد قوة الأسطول البحري الجزائري، ما يدفعنا إلى التساؤل عن حجم هذا الأسطول البحري الذي أرعب أوربا مدة من الزمن. (محمد الامين، 2011-2012، صفحة 69)

المطلب الأول: تطور الأسطول الجزائري خلال العهد العثماني

عرف الأسطول البحري الجزائري تطورا ملحوظا بداية من القرن السادس عشر وحتى أوائل القرن السابع عشر ميلادي، (ناصر الدين س.، 2009، صفحة 136) ليدخل بعدها في مرحلة من الضعف نتيجة الغارات والهجمات الأوربية، فقد تعرضت مدينة الجزائر في الفترة الممتدة بين 1634م الى 1789م إلى عشر هجمات، كانت سبب في تضرر الأسطول البحري وانخفاض عدد السفن بالإضافة إلى الخسائر المادية والبشرية الكبيرة، ثم انتعشت أوضاع الأسطول نتيجة ظهور بعض البحارة المشهورين، وكذا انشغال أوربا بالثورة الفرنسية. (ناصر الدين و المهدي ، 1984، صفحة 45) غير أن حملة اللورد إكسموث (1816م) وضعت حد لهذا التحسن، حيث فقد الأسطول أغلب قطعه، ليعاد تكوينه من جديد قبيل الاحتلال الفرنسي للجزائر لكنه لم يرقى الى ذلك الأسطول القوي المهاب الجانب. (ناصر الدين س.، 2009، صفحة 136)

- **صناعة السفن:** لقد حتم الصراع القائم في الحوض الغربي للمتوسط على الجزائر الاعتناء بصناعة السفن، لأنها الأداة الأساسية لخوض الحروب البحرية، لهذا نجدها حظيت باهتمام بالغ فظهرت أنواع متعددة من السفن الحربية خاصة مع احتدام الصراع بين إيالة الجزائر والدول الأوربية. (عائشة غ.، 2007، الصفحات 97-98)

ولتحقيق ذلك عمد الإخوة بربروسة على الاهتمام بالأسطول الحربي وشيدوا لذلك ورشات لتصنيع وتصليح السفن فتطور وتزايد حجم الأسطول الذي قدره البعض عند قدوم الإخوة بربروسة من بجاية إلى الجزائر ب 21 مركبا

فقط، ليتضاعف هذا العدد إلى 60 سفينة خشبية عام 1530م. (عبد الحميد و هشام، 2015-2016، صفحة 50)

وللحفاظ على قوة الأسطول وتطوره أنشأ خير الدين **دار الترسانة** أو **دار الصناعة البحرية** في بداية النصف الثاني من القرن السادس عشر وذلك بعدما زار إسطنبول رفقة بعض البحارة الجزائريون، (محمد الامين، 2011-2012، صفحة 70) وفي هذا الصدد يقول **خير الدين** في مذكراته ".... زرت إسطنبول مع بعض البحارة الجزائريون، انبهر البحارة عندما رأوا إسطنبول، وتجولوا في مضيقها، وزاروا حصونها وقلاعها، وأسوارها المنيعة، وكم كانت دهشتهم عظيمة، لما رأوا المصنع السلطاني لبناء السفن، الذي كان يعج بعشرات الآلاف من العمال، بل قريبا من مئة ألف عامل، كلهم يشتغلون فيه كأنهم خلية نحل، فحمدوا الله كثيرا، على كونهم تابعين لدولة على هذا القدر من القوة والعظمة..." (خير الدين، 2010، صفحة 212)

وقصد الاستفادة من العمال هناك ونقل خبرتهم إلى الجزائر يقول "...قدم عدد من الشباب الراغبين في التجنيد من الأناضول، فأرسلت ثلاثمائة منهم ممن لهم معرفة بالبحرية، أما الأخرون فقد عينتهم في مصنع بناء السفن لكي يتعلموا ويتدربوا هناك، كما قمت بتجهيز خمس سفن من نوع قادرغة وشحنتها بالأسلحة والذخائر ولوازم السفن وسلمتها لدلي محمد رئيس لكي يقوم بأخذها إلى الجزائر. (خير الدين، 2010، الصفحات 212-213)

وساهمت دار الصناعة في تزايد عدد السفن تدريجيا، وحافظت على نفوذ الجزائر في الحوض الغربي للمتوسط، من النصف الثاني للقرن السادس عشر إلى غاية الثلاثينات من القرن السابع عشر، ومن أهم هذه الترسانات ترسانة باب الواد التي تصنع فيها المراكب الكبيرة، في حين تصنع السفن الأقل كبرا في ترسانة باب عزون، بالإضافة إلى ترسانة شرشال التي تبنى فيها السفن من نوع الفرقاطة ذات 8 إلى 13 مقعد، كما كانت بمدينة عنابة ترسانة أقل أهمية بحث لا تصنع فيها إلا السفن البسيطة وبعض القوارب التجارية. (عائشة غ.، 2007، الصفحات 99-100) بفضل هذه الترسانات أصبح الرياس قادرين على الولوج إلى المحيط الأطلسي لمراقبة طرق الهند وأمريكا واستطاعوا الوصول إلى ماديرة وأيسلندا وانجلترا وغيرهما من بلدان أوربا الغربية، وقد احتوى ميناء الجزائر سنة 1630م على مالا يقل عن سبعين سفينة، (صالح ، 2012، صفحة 32)

ويذكر **يلماز اوزوتونا** أن الأسطول الجزائري خلال النصف الأول من القرن السابع عشر كان أسطولا بالمعنى الصحيح شارك في الحروب العثمانية وكان له دور كبير في انتصاراتها، ففي سنة 1620م كان في الأسطول

الجزائري 300 ربان تركي ماهر، و80 سفينة بالإضافة إلى مئات السفن الصغيرة، (يلماز ، 1988، صفحة 516)

ويعتبر القرن السادس عشر للميلاد، وبدرجة أقل القرن 17 عشر ميلادي العصر الذهبي للنشاط البحري الجزائري، بالنظر إلى حجم قطع الأسطول المتزايدة، ثم بدأ التناقص التدريجي للأسطول الجزائري حيث يقول **Dr Shaw**: إن الأسطول الجزائري لم يقل أبدا في كل الأحول عن 20 سفينة، ففي عام 1724م كانت الجزائر تملك 24 سفينة حربية بما في ذلك سفينتين كبيرتين ذات 52 و50 مدفع، بالإضافة إلى 6 فرقاطات ذات 38 و44 مدفع، (Shaw, 1830, p. 198) أما **ويليام شالر** حين يتحدث عن الأسطول البحري فيقول بأن الجزائر سنة 1815م كانت تملك أربع بوارج حربية تتراوح قوتها بين 44 و50 مدفع وأخرى قوتها 38 مدفع وسلوب حربي (مركب ذو صارية واحدة) مزود بثلاثين مدفع، وأخر مسلح بعشرين مدفع بالإضافة إلى بعض الزوارق الحربية السفن ذات المجاديف، (وليام ، 1982، صفحة 62) ويرجع سبب هذا التراجع إلى عدة أسباب نذكر منها:

1- اشتداد الصراع الإسلامي المسيحي في المتوسط، خاصة في حرب "كريت (1645-1669م) والخسائر التي تكبدها الأسطول الجزائري باعتبار الجزائر أهم أطراف الصراع. (محمد الامين، 2011-2012، صفحة 74)

2- وقوف الجزائر إلى جانب الدولة العثمانية في حروبها ضد روسيا واليونان ما أنهك الأسطول الجزائري خاصة مع التطور الذي شهدته الأساطيل الأوربية أثناء القرن الثامن عشر. (حليم س.، 2007-2008، صفحة 120)

3- حملة اللورد إكسموث على الجزائر 1816م والتي كانت سبب في تحطيم تقريبا كل السفن الراسية في الميناء. (وليام ، 1982، صفحة 62)

إلا أن الجزائر استطاعت تكوين الأسطول من جديد بشراء بعض السفن أو صناعة البعض الأخر في دار الصناعة الحربية أو بالسفن الحربية التي قدمها لها الباب العالي وسلطان المغرب الأقصى وباشا طرابلس، وبذلك أصبح الأسطول الجزائري قوي وفعال بحيث يستطيع القيام بمهامه العادية. (وليام ، 1982، صفحة 62)

- **صناعة الأسلحة**: تعد الأسلحة من أهم الصناعات الحيوية التي حظيت بأهمية بالغة وكانت تتم أساسا في **دار النحاس** التي تقع بالقرب من باب الواد ولقد أطلق عليها هذا الاسم لكون المدافع التي كانت تصب هناك في معظمها من البرونز، وكان لها دور كبير في فرض السيادة الوطنية وكذا حماية حدود الدولة من أي اعتداء،

إضافة إلى تسليح المراكب والسفن الحربية بالأسلحة والمدافع اللازمة، وكانت عبارة عن مبنى ضخم به مخزن عالي جيد البناء لسبك المدافع، وفي ملحقها توجد عدة أفران، (علي خ.، 2007، الصفحات 203-205) وبالقرب من مصنع الأسلحة، توجد **دار البارود**، حيث كانت تصنع هذه المادة الحيوية، من مزيج من ملح البارود وفحم الدفلى، والكبريت الذي كان يجلب من أوروبا. (محمد الامين، 2011-2012، صفحة 72)

أما مستودعات الأسلحة فتقول **كورين شوفالييه** أنه تم بناؤها سنة 1573م من قبل عرب باشا، كما تشير إلى ورشة هامة في الميناء كانت مخصصة لتصليح السفن استطاع من خلالها الجواسيس الإسبان ما بين سنتي 1533-1535 معرفة عدد المدافع التي وصلت إلى 21 قطعة مدفعية منها 6 مدافع صغيرة مصنوعة من الحديد. (كورين، 2007، صفحة 86) ولقد تزايد وتطور عدد المدافع تبعا لتطور وتزايد السفن الحربية التي كانت تحملها، ويمكن اعتبار الفترة الممتدة بين القرن السادس عشر إلى أواخر القرن السابع عشر فترة ازدهار البحرية الجزائرية سواء ما تعلق بحجم الأسطول البحري أو بصناعة الأسلحة.

المطلب الثاني: أنواع وحدات الاسطول الجزائري

كان لإنشاء دار الصناعة أو الترسانة أثر كبير في تطوير السفن الحربية وازدياد عددها، فظهرت أنواع كثيرة من السفن في الجزائر خلال العهد العثماني والتي نذكر منها:

- **القالير**: وهي أكثر أنواع السفن في أسطول دار الجهاد، طولها 50 مترا وحمولتها متوسطة، وسرعتها خفيفة، وتحتوي على 25 إلى 26 مصطبة (بنك) يجلس على كل منها من 2 إلى 8 أشخاص. (يحي، 2009، صفحة 170)

- **الفرقاطة**: هي نوع من السفن الحربية الرفيعة والثقيلة، تتسع ل 10 إلى 17 مجداف، ويعمل على كل مجداف شخصين، سعتها أثناء الحرب 80 شخص، عليها رئيس ووكيل ونجار وموجه وشاويش، وتحمل من 4 الى 8 مدافع متنوعة، ونظرا لسرعتها كانت تستخدم لنقل الأخبار بين السفن أثناء المعارك. (عزيز سامح، 1989، صفحة 149)

- **الغليوطة**: أصغر من القالير، وتحتوي على 14 الى 25 مصطبة، ومدافعها 20 وبحارتها من 10 إلى 30 رجلا، شاعت عند الهولنديين في القرن 18 كأحسن مركب عندهم. (يحي، 2009، صفحة 170)

- **الغليون**: هو مركب حربي ذو حجم كبير استعمله الإسبان في نقل الذهب والفضة والمعادن النفيسة من مستعمراتهم. (عبد الحميد ب.، 1972، صفحة 104)

- **القادرغة**: وهي سفينة ذات مجاديف مزودة بشراع له شكل مثلث يبلغ طولها حوالي 45 متر وعرضها 5.5متر، تحمل هذه السفينة من 3 إلى 5 مدافع كبيرة في المقدمة وعدد من المدافع الخفيفة على الجانبين. (محمد الامين، 2011-2012، صفحة 77)

- **البركنتي**: أو بركندة، وهي سفن حربية أصغر حجما من الغليوطة، لكنها تشبهها في الشكل والحجم، تحمل شراع واحد ولها بين 8 الى 16 مقعدا للمجذفين، وقد تميزت مجاذيفها بالطول والدقة ما زاد من سرعتها، يبلغ طولها حوالي 16 م وعرضها 3 أمتار وصنعت في البندقية. (حليم س.، 2007-2008، صفحة 123)

- **الكرافيل**: هو نوع من السفن الشراعية الكبيرة تحمل بين 16 و30 مدفعا، (جون، 2002، صفحة 187) شاع استعماله في القرنين 15 و16. (يحي، 2009، صفحة 171)

- **الجفن**: هي سفينة حربية بطيئة الحركة لكبر حجمها كانت تستعمل في بحار الهند، وهي سفينة دائرية الشكل أشبه بالقصعة، تعد من أشهر مراكب القرون الوسطى، تحمل حوالي 100 بحار أما عدد مدافعها فيتراوح بين 36 و50 مدفع. (حليم س.، 2007-2008، الصفحات 127-128)

- **الشبك**: نوع من المراكب يستعمل للتشابك أو الالتحام أثناء المعارك البحرية. (علي خ.، 2007، صفحة 175)

- **الحراقة**: هو مصطلح يستخدم للدلالة على السفن الحربية التي تملا بالمواد الحارقة لإطلاقها على سفن العدو، (علي محمود، 1980، صفحة 146) وقد ذكر **حمدان خوجة** أن الجزائر امتلكت بعض الحراقات أرسلت كهدايا من الباب العالي للإيالة الجزائر، (حمدان ، 2006، صفحة 96) أحصى **شالر** في مذكراته أن عدد سفن البحرية الجزائرية حراقتين واحدة ب 36 مدفعا والأخرى ب 46 مدفع. (وليام ، 1982، صفحة 70)

- **الشختورة**: وهي من السفن الشراعية، عرفها العرب في العصر الإسلامي، واستخدمها العثمانيون في

أساطيلهم لنقل مؤن الجيش، كما أنها من الحجم الصغير وتحمل ثلاثة صوار ذات قلوع مربعة كانت تستعمل للأغراض التجارية، وقد صنعت ترسانة الجزائر هذا النوع من السفن بداية من سنة 1760م، (حليم س.، 2015، صفحة 186)

إضافة إلى بعض السفن الصغيرة على غرار الفلوكة أو الزورق الصغير والذي يستعمل في المسافات القريبة، وكذا الشطية وهي مركب صغير لحمل الأثقال لمسافات قصيرة كذلك وكانت عبارة عن مراكب ساحلية، وتوجد أنواع أخرى من المراكب والفلائك والسفن الحربية والتجارية وسفن الصيد المحولة إلى مراكب حربية كالشلوتي والطرطان والشالوب.. الخ. (عبد الحميد ب.، 1972، صفحة 105)

كل هذه السفن وغيرها من السفن الحربية جعلت من الأسطول البحري الجزائري خلال العهد العثماني أسطولا قويا مهاب الجانب هيمن على الحوض الغربي للمتوسط، وبسط سلطته ونفوذه على أساطيل أوربا وساعد في حماية حدود البلاد الجزائرية والإسلامية من أي عدوان أو تحالف أوربي ضدها، كما كانت له مساهمات كبيرة وفعالة في حروب الدولة العثمانية ضد الأساطيل الأوربي في إطار الصراع الإسلامي الصليبي.

الفصل الأول: أطروحة القائلين بأن النشاط البحري الجزائري هو قرصنة بحرية

المبحث الأول: القائلين بهذا الطرح وأدلتهم

المبحث الثاني: نقد وتحليل هذا الرأي

1985
جامعة محمد بوضياف - المسيلة
Université Mohamed Boudiaf - M'sila

المبحث الأول: القائلين بهذا الطرح وأدلتهم

المطلب الأول: ماهية القرصنة

المطلب الثاني: نشاط البحرية الجزائرية في نظر الكتابات الغربية

المطلب الثالث: قضية الأسرى الأوربيون بالجزائر

1985
جامعة محمد بوضياف - المسيلة
Université Mohamed Boudiaf - M'sila

المبحث الأول: القائلين بهذا الطرح وأدلتهم

شهد الحوض الغربي للمتوسط خلال الفترة الحديثة احتدام الصراع، خصوصا بين الدول المطلة على سواحه، وعرف هذا النشاط البحري بعدة تسميات وتعريفات، منها القرصنة البحرية، التي تعد من المواضيع البالغة الأهمية في تاريخ الحروب البحرية، وما زالت تشكل نقطة خلاف بين المؤرخين والباحثين، لاسيما حول المعاني المتعددة التي يحملها المصطلح، خاصة إذا ما حاولنا فهم تطور تلك المعاني عبر العصور.

المطلب الأول: ماهية القرصنة

1- مفهوم القرصنة

مصطلح القرصنة مشتق من الكلمة الإيطالية corsaire والتي تعني المطاردة، حيث كان هؤلاء القراصنة يستعملون السفن الصغيرة والسريعة في أعمالهم، للهجوم والاعتداء على سفن وسواحل الدول. (صلاح محمد ، 2014، صفحة 21) ويعرفها **الأب دان** بأنها كلمة مشتقة من اللفظ Corse نسبة إلى مدينة كورسيكا إحدى أهم الجزر الإيطالية (Pierre , 1649, p. 9)

أما المؤرخ الجزائري **عبد الحميد بن اشنهو** فيقول بأنها كلمة من اختراع الإفرنج فهي دخيلة عن العربية ولا يوجد لها مرادف في اللغة العربية إنما استعربت في القرن التاسع هجري وتعني الغزو في البحر، (عبد الحميد ب.، 1972، صفحة 19) أما في المصادر الفرنسية فقد استعملت كلمة "Attaque" للدلالة على الهجوم، وكلمة "Ecumeur" بمعنى المهاجم أو القرصان، ولم يدخل مصطلح القرصنة في الكتابات الفرنسية إلا في القرن السادس عشر ميلادين ونجدها في القواميس الفرنسية للدلالة على السفن السريعة التي تؤهلها دولة ما للسطو والإغارة على السفن التجارية للأعداء (محمد الامين، 2011-2012، صفحة 38)، ويقدم لنا **روبرت هايود** في كتابه القرصنة البحرية تعريفا للقرصنة اقتبسه من المؤرخ الإغريقي **بلوتاك إي** عام 100 ميلادي والذي يعتبره أول من قدم تعريف للقرصنة حيث يصف القراصنة بأنهم أشخاص يهاجمون كل ما هو في البحر والمناطق الساحلية من دون اي سلطة قانونية، كما يعتبرهم بحارة يقومون بالسلب والنهب وتعدوا بأن يكونوا جماعات متورطة في الحرب ضد الجميع. (روبيرت و روبيرتا ، 2014، صفحة 16)

أي أن القرصنة هي العمليات التي يقوم البحارة الذين يمارسون السرقة والنهب في البحار والمحيطات، أو نزول أشخاص وجماعات لا يمثلون بعثة أو حملة عسكرية منظمة من قبل دولة ما، إلى شواطئ وسواحل المدن لأجل الإغارة والسطو على الممتلكات. (علي محمود، 1980، صفحة 127)

ويعرف **جون وولف** القرصان بأنه ذلك الشخص الحر في السلب والنهب، والذي لا يعترف بأي سلطة فوق إرادته الخاصة، فهو يهاجم بدون تمييز أي سفينة يقدر عليها وكان هدفه من ذلك هو النهب والسطو لمصلحته الخاصة (جون، 2002، صفحة 179).

ويعرفها **رأفت الشيخ** على أنها كل عمل يقوم به فرد أو جماعة بهجوم مسلح في البحر من أجل السلب والنهب على ما تحمله سفن الغير من دون أن تكون هناك عداوة سابقة أو حروب معلنة بين الطرفين (رأفت، 1994، صفحة 372)

أما **ابن خلدون** فيذكرها على أنها غزو بحري، وأصحابها نفير وطائفة من غزاة البحر، حيث يقول"... وشرع في ذلك (أي الغزو) أهل بجاية منذ ثلاثين سنة، فيجتمع النفير والطائفة من غزاة البحر، ويصطنعون الأسطول ويتخيرون له الأبطال، ثم يركبونه إلى سواحل الفرنجة فيخطفون ...و يصادمون ما يلقون من أساطيل الكفرة ..." وهذه القرصنة التي يتحدث عنها ابن خلدون، من دون أن يذكر مصطلح القرصنة، أو يسميها بهذا الاسم يقول إنها بدأت ببجاية حوالي سنة 760هـ في البحر الرومي كما يسميه العرب (ويقصد هنا البحر الأبيض المتوسط)، فقد كان ميدان القرصنة ومجالها، يتبارى فيه العرب والافرنج (نورالدين، 2006، صفحة 64)

وترى **كورين شوفاليه** بأن البحر الابيض المتوسط مهد القرصنة البحرية وأنها أي القرصنة قديمة قدم التاريخ (كورين، 2007)

ويعتبر البعض القرصنة شكل من أشكال الحروب التجارية التي تحمل الطابع الاقتصادي أو بمعنى أخر فهي صناعة، إذ تعتمد على التفوق الحربي، وكان هذا النشاط منتشرا عبر البحار والمحيطات بكاملها، فلم يقتصر على منطقة محددة أو مكان معين، كما أن ممارسي هذا النشاط ينتمون إلى مختلف الديانات والأصول المختلفة (بليل، 2010، صفحة 19)

في حين يراها **فرنان بروديل** بأنها تحمل الصبغة القانونية ولها قانونها الخاص ونظامها الدولي الذي يؤطرها ويسيرها حيث يقول"... كانت القرصنة شكلا من أشكال الحرب ضد المدن والقرى لاقتناص الأسرى وقطعان

الماشية والثروات لتعتاش منها كل الدول والمدن. وهي أي القرصنة لم تكن نشاطا فرديا، بل نشاط جماعات واسعة وشبكات تشترك المدن والدول في تنظيمها، الأمر الذي يؤكد أنها كانت من طبيعة ذلك الوقت ومن مزاياه..."

ويقول عنها أيضا" ...والقرصنة ظاهرة قديمة في المتوسط، لكنها تختلف عنها في الأطلسي، في أن الأولى لها قواعدها وأعرافها وتقاليدها، إذ كانت تعقبها مفاوضات بين الدول والمدن التي كانت تقوم بينها، ..." (فرنان، 1993، الصفحات 151-152). فهي إذا بمثابة حروب بحرية مشروعة تتم بواسطة بيان صريح للحرب أو تكون عبارة عن تصريح يتم بموجبه تجهيز السفن الحربية لقتال العدو، فهي ليست عملا فرديا خاصا ومنعزلا بل هي عمل حربي وعسكري تشرف عليه الدولة (كورين، 2007، صفحة 49)

فالقرصنة كأنشطة قانونية، تم الاعتراف بها وتشجيعها من قبل الدول التي أصدر ملوكها تصاريح خاصة بهم تسمى "**خطابات العلامة**" من أجل التصدي للسفن التابعة للدول الأعداء، وكانت أول رسالة مكتوبة ومرخصة من طرف **فيليب أوغست** في ماي من سنة 1206م، والتي تسمح للقراصنة بالتجوال في البحر تحت رعاية الملك (Xavier Labat, 2002, p. 1)

ووصفت القرصنة في بداية القرن السادس عشر، بأنها استراتيجية تسمح بشن الحملات العسكرية البحرية، ولذلك ارتبطت القرصنة بتلك الحروب التي قامت في أوروبا، ثمّ اتسع مداها مع ظهور الإخوة بربروسا في الحوض الغربي للمتوسط ودخول الدولة العثمانية في صراع مباشر مع القوى الأوربية في السواحل الجنوبية للبحر الأبيض المتوسط، وبذلك اتخذت القرصنة منحى آخر، منفصلا عن الحروب، مما أدى إلى اتساع هذه الظاهرة، وتطور عملياتها، وتعدد اتجاهاتها، وبالأخص خلال القرن السابع عشر، الذي أطلق عليه" **قرن القرصنة**"، أين كان العصر الذهبي للبحرية الجزائرية ونشاطها الإقليمي والمتوسطي بالخصوص في إطار الصراع بين ضفتي البحر الأبيض المتوسط، الشمالية منه، والجنوبية. (جمال الدين، 2011، صفحة 134)

2- الفرق بين القرصنة ولصوصية البحر

يرى (Daniel Panzac) أن هناك فرق كبير بين لصوص البحر، والقراصنة، فلصوص البحر، لا وفاء ولا إخلاص لهم لأي دولة أو حكومة، فهم يعملون لمصلحتهم الشخصية، ولا قانون يحترمونه أو يحتكمون إليه. أما القراصنة فهم يحترمون القانون (Daniel P. , 2002, p. 1)، أي أن الفرق بين القرصنة واللصوصية البحرية يكمن في مشروعية العمل الذي يقومون به هؤلاء البحارة، فإذا كانوا يمارسون هذا العمل بترخيص أو إذن من قبل بلدانهم أو حكوماتهم، فهذا النشاط يطلق عليه قرصنة، وتكون بذلك حربا مشروعة، أما إذا كان هذا

النشاط الذي يقوم به البحارة عملا منعزلا ولا يحمل أي ترخيص، فهذا يدخل في إطار اللصوصية البحرية، وهدفه عرقلة حركة الملاحة وكذا المواصلات البحرية (الطاهر، 2020، صفحة 136)

ويذهب في هذا الاتجاه أيضا **احمد توفيق المدني** حين يفرق بين القرصنة ولصوصية البحر فيرى أن القرصنة (corsaire) التي أشرنا إليها فيما سبق والتي هي عبارة عن حرب من الحروب البحرية التي تقع بين الدول المتعادية والتي كان الغاية منها ضرب اقتصاديات الدول بالاستيلاء على البضائع الصادرة منها أو الواردة عليها وأسر من يعمل على ظهر تلك السفن المعادية، وبين لصوصية البحر (Piraterie) التي يقوم بها مغامرون ينهبون السفن ويسلبون أرزاقها ويسبون نسائها وهم بذلك يعملون لمصلحتهم الخاصة، وعلى هذا فان لصوص البحر يباشرون أعمالهم ومهماتهم طوال الوقت وباستمرار، عكس القراصنة الذين يعملون وقت الحروب فقط، حيث كانت حكومات الدول تسلمهم أوراقا رسمية فتكسبهم بذلك صفة الشرعية وتجعلهم شبه جنود متطوعين وتميزهم عن لصوص البحر (احمد توفيق ا.، 1976، صفحة 72) أما المؤرخ الإيطالي(Salvatore Bono) فيعرف القرصنة بمايلي: هي الحرب بين المسحيين والمسلمين، فالقرصان هو الذي يمارس القرصنة لحساب الحكومة وبدعم منها، وقد كان يحتل مكانة قانونية على الصعيد الوطني والدولي .بالمقابل لص البحر يقوم بنفس الأعمال والنشاطات (الاستيلاء على السفن، البضائع، الرجال)، ولكن دون تشريع، أو قواعد، فلصوص البحر لا يترددون في مهاجمة سفن البلدان الصديقة أو حتى سفن بلدانهم وبهذه الطريقة هم خارجون عن القانون، فالقرصنة إذا ليست عملا خاصا بل هي عمل الدول. (حمزة اسحاق، 2011-2012، صفحة 18) ويرى **المنور مروش** الذي يعد من بين أهم المؤرخين المحليين الذين درسوا ظاهرة القرصنة وأولاها اهتماما كبيرا، أن القرصنة هي نشاط بحري يخضع لعناصر تحدده، ويميز بين ثلاثة أشكال من العنف البحري، ويقدمها على النحو التالي:

– **حرب القرصنة** :وهي الحرب التي تقوم بأمر من الدولة، ويشترك فيها أصحاب السفن، في تكاليف وفوائد الحرب البحرية.

– **اللصوصية البحرية** : وهي عملية تتم في البحر بلا عقيدة، ولا قانون، وهي مدانة عالميا من طرف القانون والأخلاق.

– **القورصو** :هو شكل من أشكال الحروب بين المسلمين والمسيحيين، وهو خاصة بالمتوسط، يقترب كسلوك من ظاهرتي القرصنة، ومن اللصوصية البحرية معا، لكنه سلوك متعارف عليه ومقبول من الطرفين، وكان

باسم الحرب المقدسة، بين المسلمين والمسيحيين على حد السواء، ومن النشاطات التي تميزت بها بعض الدول المتوسطية مثل مالطا والإيالات المغاربية خلال القرنين الأولين من العصور الحديثة. (المنور، 2009، صفحة 8)

ومن خلال كل ما سبق يمكن التفريق بين ظاهرتي القرصنة "Corsaire" ولصوصية البحر "Piraterie" بحيث نجد جل المؤرخين يتفقون على أنه يوجد حد فاصل وفرق شاسع بين المصطلحين باعتبارهما نشاطين مورسا في البحر عموما وفي البحر الأبيض المتوسط خصوصا، فالأولى لها قانونها الخاص الذي تحتكم إليه وعادة ما تكون لصالح دولة معينة وبترخيص منها وتحت سلطتها وبدعم منها، ما يضفي عليها صفة الشرعية، أما الظاهرة الثانية فبحارتها ورجالها يقومون بنفس الأعمال والنشاطات التي يقوم بها القراصنة، من الاستيلاء على الغنائم والبضائع والسفن وحتى أسر الرجال والنساء، لكن بدون أي تشريع أو قانون حيث يمكن لهؤلاء مهاجمة حتى السفن الصديقة، لهذا فهي لا تعدوا إلا أن تكون عملا يدخل في خانة اللصوصية الممقوتة دوليا والتي حاولت كل الشعوب والأمم التصدي لها منذ القدم.

المطلب الثاني: نشاط البحرية الجزائرية في نظر الكتابات الغربية

وصفت الكتابات الغربية نشاط البحرية الجزائرية بداية من القرن السادس عشر ميلادي بعدة أوصاف، منها لصوصية البحر "Piraterie"، والنشاط القرصني "Activité corsaire"، والقرصنة البربرية "Course Barbaresque"، وفي بعض الأحيان بالقرصنة الإسلامية "Course Musulmane"، خاصة مع الاكتشافات الجغرافية والنشاط التجاري وما صاحبه من صراعات حربية بين الدول والأمم في الحوض الغربي للمتوسط لأسباب دينية وسياسية واقتصادية (رزاق، 2014-2015، صفحة 56)

لقد كان سبب تسليط الأضواء على قراصنة شمال إفريقيا عموما وقراصنة الجزائر على وجه الخصوص، لا لأنهم أكثر نشاطا وبراعة فقط، بل لأن نشاطهم كان موجها ضد السفن الأوربية وسببوا الكثير من المتاعب والمشاكل للسواحل الأوربية، خاصة المتوسطية منها (محمد خ.، 1979، صفحة 89)

حيث يصف **بيير دان** قراصنة البربر والأتراك بأنهم بحارة قساة، يقومون بتخريب كل شيء، وارتكبوا أعمالا وحشية ومروعة لم يسمع بها من قبل، وكل من يمشي في البحر هو ضحية لهم. (Pierre , 1649, p. 19)

لهذا نجد أن أغلب الكتابات الغربية تصف البحرية والبحارة الجزائريين بأبشع الأوصاف وفي هذا الصدد يقول **يحي بوعزيز** "...وهكذا قالوا أن الجزائر واد للإهانات، والإساءات، وجمهورية اللصوص والنصابين، وعش

للقراصنة، ومأوى لقطاع الطرق واللصوص، وجحر للسراق وجحيم وجهنم للمسيحيين، ومغارة للوحوش الأفارقة ومجتمع للقراصنة، وسكانها أباليس وعفاريت" (يحي، 2009، صفحة 184)

ويصفهم الأديب الفرنسي **هنري بوسكو** في تقديمه لكتاب، قراصنة سلا، لقد كان الشاطئ الإفريقي الممتد من سلا (المدينة المغربية) إلى تونس، يعتبر وطنا موحدا للقراصنة. ويعتبر هذا الوطن مخيفا ومرعبا بالنسبة للدول الأوربية. (روجي، 1991)

كما أخذت الحرب المقدسة بين المسلمين والمسيحيين أبعادًا غير عادية في سواحل إسبانيا وإيطاليا، عند قدوم الإخوة بربروسا إلى السواحل الجزائرية، حيث تم الاستيلاء على قوافل كاملة من السفن الإسبانية والجنوية في غضون أسابيع قليلة من قبل القراصنة البربرسكيين وذلك بعد أن استولوا على مدينة جيجل. (Garront, 1910, p. 358) ويضف المؤرخ الإسباني **هايدو** في كتابه تاريخ ملوك الجزائر حينما يتحدث عن عروج بربروسا فيقول بأنه استولى على مدينة الجزائر بالعنف والخيانة، لأنها بالنسبة له المدينة المناسبة لنشاط القرصنة. (Diego d. h., 1881, p. 03)، ويصف لنا **جيمس ويلسون ستيفنز** في كتابه الأسرى الأمريكان في الجزائر 1795-1796م طريقة دخول عروج بربروسا وقراصنته إلى الجزائر العاصمة وتثبيت نفسه سلطانا عليها، بالقول، بعدما غدر بحاكمها السابق سالم التومي وقتله، بدأت كلمات التهديد التي توعد بها كل من يعارضه أو يرفض الاعتراف به كسلطان شرعي، وعندما جلس على العرش بدأت قسوته وبطشه وغطرسته تظهر أكثر فأكثر، إلى درجة أن السكان أصبحوا يدخلون بيوتهم والاختباء بها عندما يظهر علانية، وهكذا أصبح الأتراك سادة المدينة بدون منازع، واستعملوا جميع أنواع العنف والجشع، حيث بدأت فواحشهم تظهر بإهانة اللغة، وانتهت بمشاهد القتل والسلب، واغتصاب النساء، أي أن الحكم الإستبدادي لبربروسة أصبح لا يطاق، ما دفع بالسكان إلى مراسلة قائد الحامية العسكرية الإسبانية من أجل تخليصهم من عروج بربروسا وجنوده. (جيمس ويلسون، 2007، صفحة 18)

هكذا كانت بداية فترة حكم عروج بربروسا للجزائر العاصمة ومنها ينطلق إلى جهة الغرب من أجل انتزاع المدن الساحلية من أيدي الإسبان غير أن عروج بربروسا يقتل في إحدى المعارك في تلمسان، وفي هذا الصدد يضيف **جيمس ويلسون**:" ...وإلى هذا الحد تنتهي سيرة هذا الطاغية القوي، الذي توفي سنة م1519م، وعمره 44 سنة، وهذا بعد أربع سنوات من طموح ارتقائه إلى منصب ملك جيجل المتاخم للبلاد، وسنتين بعد أن تولى حكم مدينة الجزائر، و12 شهرا من استيلائه على تلمسان. أضف إلى ذلك قيامه بغزوات بحرية ونشر خراب ودمار على طول البلاد البربرية لمدة 14 سنة. (جيمس ويلسون، 2007، صفحة 25)

ويرى **بروديل** أن القرصنة الجزائرية مرت بفترتين من الازدهار، فبين العام 1560م والعام 1570م اجتاح قراصنة الجزائر الحوض الغربي للمتوسط كله ووصلوا إلى الأدرياتيكي وإلى الشواطئ الأطلسية للأندلس، حيث استطاعوا أن يأسروا 50 سفينة في مضيق جبل طارق في عام 1566م، وأدت جرأة أولئك القراصنة إلى فرض ما يشبه الحصار البحري على كل من جزر صقلية وجزر البليار، لدرجة الحديث عن شل حركة الملاحة البحرية في الحوض الغربي للمتوسط، بين عامي 1563م و 1564م، وقد أدى التطور الذي شهده الأسطول البحري الجزائري في مجال صناعة السفن للوصول إلى مرسيليا والبندقية، فقد استطاع الأسطول الجزائري في عام 1579م أسر العديد من المسيحيين من بينهم حوالي 52 كاهنا. (فرنان، 1993، صفحة 153)

ويقول المؤرخ الألماني **يوري سيميونوف**:" ليس الفرنسيون فقط هم الذين كافحوا القراصنة الجزائريين، بل جميع الأمم، بدون استثناء، كافحت هذا الوباء البحري: كافة الإنكليز، والهولنديون والإسبان والجنوبيون والنابليون، ولكن كفاحهم ظل بدون جدوى." وهنا نلاحظ أن المؤلف يصف القراصنة الجزائريين بالوباء البحري دلالة على المعاناة التي كانت تعاني منها سواحل المدن المتوسطية، ويضيف قائلا " وخلال القرن السابع عشر قنبل الإنكليز الجزائر ثلاث مرات: في سنوات 1622، 1655، 1672م، والفرنسيون قنبلوها خمس مرات: 1661، 1655، 1682، 1685، 1688، ولكن كل شيء بقي على ما كان عليه". (مولود قاسم، 2007، صفحة 73)

وهكذا أصبح قراصنة الجزائر بمثابة السوط المسلط على العالم المسيحي، فأصبحوا رعب أوربا ولجام إيطاليا وإسبانيا، وأصحاب الأمر والنهي في الحوض الغربي للمتوسط، (وليم، 2006، صفحة 14) حيث يقول نائب الأدميرال **بورغيس ميسيسي**، قائد البحرية في طولون، في رسالة بعثها إلى غرفة تجارة مرسيليا في 19 أغسطس 1806م، يتحدث عن هجومات القراصنة الجزائريين في الحوض الغربي للمتوسط فيقول:" لقد علمت، من خلال رسالة تلقيتها للتو من الجزائر العاصمة، أن العديد من قوارب القراصنة التي ترفع العلم الأسود تعبر البحر الأبيض المتوسط وأنها تسبب الفوضى هناك. أنا متأكد من أنهم قاموا بالفعل بنهب العديد من السفن وذبحوا الطواقم. تمكن طفل من قارب كاتالوني من الفرار في زورق حيث يعتقد القراصنة أنه مات بين البحارة الآخرين الذين قتلوا.. إنني أسارع، أيها السادة، لإبلاغكم بهذه الأخبار الكارثية حتى تقوموا بإعطائها أكبر قدر ممكن من الدعاية وأن يكون ملاحونا على أهبة الاستعداد ويكونوا حذرين من مقابلة هؤلاء الأوغاد" (Daniel P. , 2002, p. 1) وفي هذا الصدد يذكر **بروديل**:" لم يرفق رياس البحر بالسواحل الإسبانية والمناطق التابعة لها خلال القرن 10هـ/16م. لم يمثل نشاطهم هذا خطرا على المصالح السياسية الإسبانية فحسب، بل مثل تهديدا للمصالح الاقتصادية فقد ألحق

بعض الضرر بتجارة موانئ إسبانيا، وأثرى مدينة الجزائر بما ضمنه لها من غنائم" (حنيفي و بوجلال، 2017، صفحة 574)

1- هجمات قراصنة الجزائر على السواحل الأوربية

من الأسباب التي جعلت الكتابات الغربية تتهجم على البحرية الجزائرية هي قيام هذه الأخيرة عبر أسطولها القوي بهجمات وغارات بحرية عنيفة على المدن الساحلية، لا سيما المدن المتوسطية، حيث يقول **هايدو** عن نشاط هؤلاء القراصنة:" ... كان القراصنة يبحرون أثناء الشتاء والربيع، ويطوفون في البحر من الشروق إلى الغروب، ساخرين من سفننا التي كان بحارتها في ذلك الوقت يستمتعون بإقامه المآدب في الموانئ. وكان القراصنة يعرفون أن السفن المسيحية الثقيلة هذه لا تستطيع أن تفكر بمطاردة سفنهم الخفيفة ومنعهم من السلب والنهب كما يحلو لهم..." (De Grammont, 1887, p. 51)

ويتحدث الكاتب الصحفي البولندي الشهير **ياتسيك ماخوفسكي** في كتابه تاريخ القرصنة في العالم، عن القراصنة البربر الذين حلو بجزيرة جربة التونسية (وهنا يقصد الإخوة بربروسا) واتخذوها قاعدة بحرية لهم ومنها يباشرون حملات السلب والنهب على السواحل الجنوبية لكل من إيطاليا وفرنسا وإسبانيا، فيغنمون ويأسرون الآلاف من السكان، وهكذا اصبحت دولة القراصنة (الجزائر) بداية من القرن السادس عشر ميلادي تقوم أساسا على ما تحصل عليه من السلب والنهب، حيث كان الأغنياء والتجار ورجال المال فيها يقومون بتمويل حملات قطاع الطرق البحرية في شمال إفريقيا وكانوا يستأجرون القراصنة المحترفين والمشهورين والمعروفين برياس البحر لتحقيق أهدافهم، ويتم اقتسام الغنائم والأسلاب بالتراضي بينهم بعدما يعطون للحاكم العشر، كنوع من الإتاوة المفروضة على أعمال القرصنة البحرية. (ياتسيك، 2008، الصفحات 88-89)

وفي حديثه عن رياس البحر يقول المؤرخ الفرنسي **دو غرامون** بأنهم استطاعوا الهيمنة وبسط نفوذهم في الحوض الغربي للمتوسط وقاموا بعمليات بحرية ضد السفن الإسبانية العائدة من أمريكا اللاتينية، وغنموا منها البضائع الفاخرة والمجوهرات الثمينة، كما فاجأوا اكثر من مرة سكان شواطئ وسواحل بحر المانش، وبحار إنكلترا العظمى، فمن ضفاف ماديرا على الأطلسي إلى صخور الجليد في إيسلندا ما كان أحد ليستطيع أن ينجو من ملاحقتهم، كما شهدت سواحل إيطاليا، صقلية، كورسيكا، سردينيا وإسبانيا هجوما منظما ودوريا من طرف البحارة الجزائريون مرتين في السنة على الأقل بسفنهم الخفيفة والسريعة. (De Grammont, 1887, p. 129)

أما المؤرخ الفرنسي **هانري غارو** فيقول حين يصف بطش وقوة القراصنة البربرسكيين: "كان من النادر أن يتمكن المسيحيون من تحقيق نجاح كبير ضدهم، لأنهم يركبون سفن سريعة ومنخفضة ومن ثم يصعب اكتشافها في البحر، لأنهم يظهرون بشكل غير متوقع ويختفون بالسرعة التي ظهروا بها..."، وإلى جانب مهاجمتهم السفن المسيحية في عرض البحر، وكذا سواحل المدن الأوربية، فقد نزلوا إلى داخل المدن ضعيفة التحصين، ونهبوا وهاجموا القلاع والقصور، حتى أصبح الفلاحون لا يزرعون أراضيهم إلا وهم مرتعدون من ظهور القراصنة البربرسكيين (Garront, 1910, p. 383)، وفي نفس السياق يتحدث المؤرخ الإسباني **هايدو** عن حجم الأضرار الجسيمة التي تسببوا بها في عرض البحر، بل تعدوا إلى أكثر من ذلك، فقد وصلت بهم الجرأة لأن يدخلوا إلى المدن الإسبانية مستغلين بذلك الدعم الذي يتلقونه من أصدقائهم وأقربائهم هناك، فيدخلون إلى داخل البلاد بملابس مسيحية، ويتحدثون الإسبانية بشكل جيد للغاية ويتم استقبالهم جيدًا في القرى من قبل المغاربة الآخرين، ثم ينصبون الكمائن في الليل وأسر جميع المسيحيين الذين يقابلونهم هناك، ثم يعودون بهم إلى شاطئ البحر ومن ثم إلى الديار، هكذا كانوا يخدعون الحراس الذين يراقبون الأبراج الساحلية، فهم يخرجون في وضح النهار بالزي المسيحي، ويسرقون باستمرار ويقبضون على العديد من الأشخاص، ويستخدمون بذلك السفن الصغيرة والسريعة التي تسبب أكبر قدر من الضرر للمسيحية لأنها تبحر دون توقف، هذه هي الطريقة التي يبدأ بها معظم القراصنة تجارتهم (Diego, 1870, pp. 87-88)

2- خير الدين أو بربروسا الثاني مرعب أوربا

بعدما تزعم خير الدين القراصنة، أخذ بحارته يجوبون أرجاء البحر المتوسط ويرهبون التجار المسيحيين، وسكان المدن الساحلية فقد كانوا ينهبون ويسلبون ولا يتركون وراءهم غير الرماد والأطلال، وعندما استطاعوا تحرير **قلعة البنيون** من يد الإسبان عام 1529م بعد عدة محاولات، صبوا جام غضبهم على الحامية الإسبانية التي نجت من القصف، وساقوا **الدون مارتين** قائد الحامية العسكرية إلى ميدان السوق بالميناء وسط هدير الجماهير الغاضبة، وتم تثبيته بأحد الأعمدة وضربوه بالعصي حتى الموت. (ياتسيك، 2008، صفحة 98)

ويتحدث **هانري غارو** عن الأسطول الجزائري فيقول:" أسطول خير الدين في البحر، وعلى رأس خمسة عشر سفينة حربية دمروا سواحل إسبانيا، وأحرقوا القرى، وخطفوا السكان، ونشروا الرعب لدرجة أن السكان هجروا الساحل. (Garront, 1910, p. 370) ويضيف إنه مع نهاية عام 1531م، كان خير الدين سيد الحوض الغربي للمتوسط، حيث كان يجتازه باستمرار في جميع الاتجاهات بستة وثلاثين سفينة. ومن شواطئ الأندلس،

استطاع أن يختطف سبعين ألفًا من الأندلسيين الذين جلبوا معهم إلى الجزائر فنونهم وصناعاتهم المختلفة، ولا سيما الكراهية الشرسة للمسيحية. (Garront, 1910, p. 372) وفي سنة 1534م خرج خير الدين بربروسا لغزو السواحل الإيطالية فهاجم مدينة **ريغيو** وأسر منها ست سفن، وهدم القلعة الموجودة فيها، ثم توجه إلى لقلعة **سانت اوسيدو** وأسر منها ثمانمائة شخص وأحرقها إلى أن وصل إلى قلعة **جيتيرارو** حيث أسر كافة من فيها وأحرق ثمانية عشر سفينة مسيحية، وبعدها توجه لسواحل نابولي فاستولى على قلعتها وأسر كل من فيها، ومن قلاع **اسبرلونجا** أسر عشرة آلاف شخص بعدما خربها ودمر كل ما فيها. (عزيز سامح، 1989، صفحة 110) ويضيف **ياتسيك ماخوفسكي** في حديثه عن هجوم خير الدين باربروسة والرعب الذي ألحقه بسكان المدن الإيطالية خاصة عندما شن هجوما عنيفا على ميناء "**ريدجيو**" في الطرف الجنوبي لشبه جزيرة "**كالبريا**" بعدما سمع بالجمال الأخاذ للأرستقراطية الإيطالية الأميرة "**جوليا جونزاجا**" اميرة "**تراجيدو**"، حيث يقول: " عندما لم يجد بربروسا أثرا للأميرة، اجتاحه غضب عظيم وإذا بالمدينة تتحول – على مدى ساعات أربع – إلى مسرح لحفل دموي فاجر، أقامه القراصنة البربر. فقتلوا العجائز والأطفال- الذين لم تكن بهم حاجة الى أسرهم- دون رحمة، واغتصبوا النساء، وأضرموا النار في البيوت ومن بقي منهم حيا بعد ذلك اقتادوه إلى سفنهم وحملوه معهم..." (ياتسيك، 2008، الصفحات 98-100)

وهكذا أصبح خير الدين مرعب كل أوربا والكابوس الذي يراود سكانها، حتى أن الناس إذا رأوا أسطولا بحريا من بعيد نسبوه إلى خير الدين، فيتصاعد الصراخ والبكاء من شدة الخوف، ويفر الناس من ديارهم وحقولهم ومتاجرهم. وإذا تحطمت المراكب البحرية جراء الرياح توهم الناس أن خير الدين هو من أثار البحر وهيجه وأغراه بإغراق سفنهم، حتى بلغ الخوف من خير الدين ورجاله أقصى الدرجات لدرجة أن أهل إسبانيا وإيطاليا إذا ما حدثت جريمة أو سرقة أو وقع فساد أو وباء فيقولون أن خير الدين وقادته هم السبب، وكانوا في نحيبهم يرددون:

بربروسة بربروسة أنت صاحب كل شر

ما كان من ألم أو عمل مؤذن وجهنمي مدمر

ألا والسبب فيه هذا القرصان الذي لا نظير له في العالم (علي محمد ا.، 2001، صفحة 228)

المطلب الثالث: قضية الأسرى المسحيين في الجزائر

تعد ظاهرة الأسرى في الجزائر خلال العهد العثماني من أهم القضايا التي عالجتها مختلف الكتابات سواء العربية منها أو الغربية، لهذا نجدها احتلت حيزا كبيرا في كتابات الأسرى أو بعض الرهبان الموكلين بافتداء الأسرى المسيحيين في الجزائر أو المؤرخين المهتمين بتلك الفترة.

1- أوضاع الاسرى المسيحين فوق السفينة

يقول **ياتسيك ماخوفيسكي** كان الأسرى الذين أرسلوا للعمل في السفينة على موعد مع مصير مأساوي، فقد اختير لهذا العمل من كان يتمتع بقوة جسدية، وكان يتم تقييدهم على ظهر السفينة عند مكان التجديف، وكان طعامهم عبارة عن خبز جاف وأحيانا القليل من العصيدة، ولم يكن يقدم لهم أي مشروب غير الماء مضافا إليه بعض الخل وزيت الزيتون. لقد كان الوقوع في الأسر كابوسا حقيقيا بالنسبة للأوربيين. (ياتسيك، 2008، الصفحات 114-115) ويضيف **كاثكارت** حين أسر سنة 1785م، كنا 42 شخصا، في غرفة مظلمة وقذرة للغاية في السفينة، نكاد نختنق من شدة الحر وقلة الهواء، محرومين من أي طعام، إلا ما يقدم لنا من وجبات تتكون من الزيتون الأسود الرديء مع بعض الخل والخبز الخشن القديم مع بعض الزيت والماء، ولولا شفقة بعض الأتراك علينا الذين اعطونا شيئا من البصل والبرتقال والتين من طعامهم الخاص لمتنا من شدة الجوع. (كاثكارت ، 1982، صفحة 17) أما **هايدو** فيقول متحدثا عن معاناة الأسرى على ظهر السفينة، بأنهم كانوا لا يتحركون أبدا من مواقع التجديف، وضربات العصي والقبضة والركل والسوط بالإضافة إلى الجوع والعطش مصحوبة بحشد من القسوة، هي المعاملة المستمرة لهؤلاء المجدفين المسيحيين الفقراء، دون تركهم يرتاحون لمدة نصف ساعة. يفتحون أكتافهم، يسحبون دمائهم، يمزقون عيونهم، يكسرون أذرعهم، يكسرون عظامهم، يقطعون آذانهم، يقطعون أنوفهم، بل ويقطعون حناجرهم بطريقة غير إنسانية، يقطعون رؤوسهم ويرمونهم في البحر. اللسان عاجز عن التعبير أما هذه الفظائع، التي يعاني منها الأسرى المسيحيين. (Diego, 1870, p. 82) ويضيف أيضا " إنهم يضربونهم ضربات بأقدامهم وبقبضاتهم، وتمزيق أكتافهم بالعصي. هذا هو ثمن الجهود التي بذلها هؤلاء المسيحيون الذين يدين لهم المسلمون بحريتهم وحياتهم " (Diego d. h., 1881, p. 169)

2- الحياة اليومية للأسرى المسيحيين في الجزائر

بعد أن يكمل البحارة الجزائريين غزواتهم في البحر، يسلمون الأسرى المسيحيين في الميناء أين يتم أخذهم إلى سراديب واسعة، ثم يتم تسجيلهم واستجوابهم بواسطة مترجمين، وكتابة كل المعلومات والبيانات الشخصية الخاصة

بهم، ثم يرسل الجزء الأكبر منهم لسوق العبيد، أما الأغنياء منهم ومن هو قادر على دفع الفدية فيوضعون في أماكن بمفردهم. (ياتسيك، 2008، صفحة 113) ويضيف الأسير **تيدنا** في هذا المجال حيث يقول لما وصلنا إلى الجزائر أخذونا إلى السوق وباعونا مثل الحيوانات. (احميده، 2003، صفحة 47) وكان من بين أهم الأماكن التي تستقطب الأسرى المسيحيين هي عملية تعزيز الساحل لحماية الميناء من الرياح والهجمات الخارجية، الأمر الذي كان يدفع الأسرى إلى العمل في معامل الحجارة التي تبعد حوالي ميلين عن مدينة الجزائر، وحملها في عربات وجرها إلى الميناء، حيث في سنة 1736م راسل مجموعة الأسرى الإسبان "الملك **فليب الخامس**، يتذمرون من العمل في الجزائر، حيث أكدوا أنهم منذ ثلاث سنوات ونصف، لا يتحركون من دون سلاسل ضخمة، وخلال هذه الفترة عملوا على تعزيز الميناء، حيث يقومون بأربع رحلات يوميا يجرّون فيها عربات محملة بالحجارة من المعمل إلى الميناء. إن مثل هذه الأعمال كانت تؤدي إلى تدهور الحالة الصحية للأسير، وفي مرات عديدة إلى وفاته.. (قرباش ، 2016 / 2015، صفحة 228)

أما **الاب دان** فيصف حالة الأسرى المسيحيين بالجزائر بالبؤس والشقاء، لدرجة أنها تثير الشفقة حيث أن البعض منهم يموت على ظهر السفينة نتيجة شدة العطش والجوع، إضافة إلى الأشغال الشاقة التي يلزموهم بها القراصنة، حيث أن البعض منهم يسمحون لهم ببعض الراحة خوفا من أن يموتوا ويضيع مالهم الذي استثمروه فيهم وليس شفقة بهم. (شوادر و صحراوي ، 2018، صفحة 128)

3- النظرة الأوربية للأعلاج في الجزائر

تتحدث المصادر والكتابات الغربية على أن العثمانيين أجبروا الأسرى المسيحيين على اعتناق الإسلام، وقد استعملوا في ذلك أسلوب الترغيب عن طريق الحيل لجذب المسيحيين إلى السلام، أو عن طريق القسوة والتعذيب، أي أنهم لم يدخلوه طواعية ولا حبا فيه بل كانوا مرغمين في ذلك. (محمد س.، 2020، صفحة 612) وفي هذا المجال يذكر **الأب دان** الأسباب الحقيقية التي دفعت بالمسيحيين إلى اعتناق الإسلام، حيث يربط هذه الظاهرة بسياسة القمع والتعذيب التي تعرض لها الأسرى من أجل ترك دينهم. (Pierre , 1649, p. 336)

وهكذا صورت الكتابات الفرنسية والإسبانية القسوة والتعذيب الذي تعرض له الأسرى المسيحيين من أجل ترك دينهم واعتناق الإسلام، في المقابل ترى الكتابات الإنجليزية أن سبب ترك المسيحيين لدينهم هو سياسة الإغراء التي انتهجتها السلطة العثمانية في الجزائر بحيث أنها كانت تغريهم بالمناصب الإدارية والثروات والأموال التي يمكن أن يحصلوا عليها إذا اعتنقوا الإسلام وتركوا المسيحية. (محمد س.، 2020، صفحة 613)

المبحث الثاني: نقد وتحليل هذه الأطروحة

المطلب الأول: الأوربيون هم السباقون لظاهرة القرصنة

المطلب الثاني: رياس البحر مجاهدون وليسوا لصوص بحر

المطلب الثالث: الأسرى في الجزائر بين الحقيقة التاريخية والدعاية الاستعمارية

المبحث الثاني: نقد وتحليل هذه الأطروحة

يقول **أحمد توفيق المدني** في مقدمة كتابه محمد عثمان باشا: " لا أعرف أن عصرا من عصور التاريخ في بقعة من بقاع الأرض ناله من الحيف والجور. ومن تلطيخ السمعة وامتهان الكرامة ما نال من ذلك عصر حكم الأتراك العثمانيين بالجزائر." ويضيف قائلا:" إنك لتقرأ ما يكتبه عن تلك الحقبة من تاريخ هذا الوطن كتاب الإفرنج ومن نحا نحوهم من كتاب الجزائر فيخيل إليك أن القطر الجزائري بأسره ما كان خلال تلك الأيام الطويلة إلا مغارة من مغاوير السفاكين، وملجأ يركن إليه السفاحون ولصوص البحر ..." (أحمد توفيق ا.، 1686، صفحة 7)

لقد أغرقت الكتابات الغربية مسألة القرصنة البحرية الجزائرية خلال العهد العثماني في بحر من التضليل والتزييف إلى درجة أن مصطلح القرصنة أصبح مرادفا لكلمة اللصوصية البحرية، التي أطلقوها زورا وبهتانا على بحرية الجزائر وبحارتها في هاته الفترة، في إطار الحملة الصليبية على الإسلام والمسلمين. (جمال ، 2007 ، صفحة 249)

وأطلقت الدول الأوربية على البحارة الجزائريون صفة لصوص البحر، أما الجزائر فسموها وكرا للصوص، فنسبوا بذلك كل ما هو بشع وفظيع للبحرية الجزائرية، وتناسوا حقدهم وكراهيتهم وقتلهم النساء والأطفال المسلمين. والمجازر المروعة التي قام بها الإسبان في ظل محاكم التفتيش. إن ما قام به رياس البحر الجزائريون في سبيل الإسلام مشابه لما فعله فرسان القديس يوحنا من أجل المسيحية، فبحارة الجزائر هاجموا وأسروا الصليبيين، لكنهم لم يقتلوا الأطفال والنساء بل عاملوهم معاملة طيبة حسنة. (عزيز سامح، 1989، صفحة 150)

لقد رأينا فيما سبق أن مصطلح القرصنة البحرية كان يقصد به البحارة الذين يعملون تحت غطاء حكوماتهم ويعملون وفقا للضوابط والقوانين البحرية المتعارف عليها. فهل كان بحارة الجزائر يباشروهم غزوهم البحري وفقا لأهواهم وحبا في السلب والنهب؟ أم كانت هناك مؤسسات تحكمهم وتقوم بأمرهم؟ وهل اقترنت القرصنة البحرية برياس البحر الجزائريين فقط؟ أم كانت ظاهرة قديمة مارستها كل شعوب العالم؟ وللرد على كل المزاعم والادعاءات الأوربية المغرضة والتي جعلت من بحارة الجزائر لصوص وقطاع بحر. يجب التطرق لثلاث عناصر أساسية:

المطلب الأول: الأوربيون هم السباقون لظاهرة القرصنة

تعد الأعمال العدائية في البحر، قديمة قدم التاريخ، فمع ازدهار النشاط التجاري البحري نتجت عنه أعمال السلب والنهب، من طرف المجتمعات الساحلية المحرومة، ومارست القرصنة شعوب مختلفة من العالم، وكان ازدهار النشاط القرصاني في البحر الأبيض المتوسط في عهد الإمبراطورية الرومانية وخلافاتها مع الإمبراطورية الفينيقية. من

أجل السيطرة على المنطقة (حسن ، 2006، الصفحات 53-54) أما في العصور الحديثة فقد هاجم القراصنة المالطيين السفن التركية التابعة للدولة العثمانية، بترخيص من ملوك أوروبا، وكان الباعث أو الدافع في البداية دينياً لمحاربة السفن التابعة للخلافة الإسلامية، ثم تغير الأمر بعد ذلك وأصبح هؤلاء القراصنة يحصلون على مكافآت ثابتة. (صلاح محمد ، 2014، صفحة 20).

وكان البرتغاليون هم السباقون إلى الاهتمام بالسواحل المغربية، فقد احتلوا مدينة سبتة سنة 1415م، وبعد أن اتحدت الإسبان زاحموهم على المنطقة، ونافسوهم من أجل السيطرة على سواحل شمال إفريقيا، فعاثوا فيها فسادا وقتلا ونهبا، فاكتسحوا بذلك جل المدن الساحلية وسيطروا عليها. (احمد ، 1998، صفحة 4)

ودعمت إسبانيا قراصنتها، ولعل أشهرهم **أندري دوريا**، ثم نجله **دون خوان**، اللّذين كانا أكثر القراصنة الإسبان تأثيرا على التجارة الإسلامية، ويضاف إلى هذا الدعم الذي كان يقدمه الإسبان لأتباعهم، فرسان القديس يوحنا بمالطا، والتي كانت تكتظ بالأسرى المسلمين. (قرباش ، 2016 / 2015، صفحة 22)

أما فرنسا الجديدة ومنذ سنواتها الأولى، ربطت مصيرها بأعمال القرصنة. حيث بعد الرحلات الاستكشافية **لجاك كارتييه**، تلقى **جان فرانسوا دي لا روك دو روبرفال**، في عام 1540م، مهمة تأسيس مستعمرة فرنسية في وادي **سانت لورانس**. من أجل تمويل مستعمرته المستقبلية. لم يتردد هذا الأخير في الاستيلاء على العديد السفن الإنجليزية بحجة زائفة بأنهم كانوا ينقلون البضائع الإسبانية. (Francis , 2007, p. 10)

إذا كان الأوربيون هم السباقون للحروب البحرية، فكانوا يغيرون على المسلمين ويسلبون وينهبون ويأسرونهم لكي يبيعونهم في الأسواق بأثمان باهظة أو يستغلونهم في أعمالهم البحرية، ويستعينون بهم في اكتشاف البحار والمحيطات البعيدة. (عبد الحميد ب.، 1972، صفحة 17)

ومع بداية النصف الثاني من القرن السادس عشر ازداد نشاط القرصنة الأوربية، فيما أصبح يعرف بالقرصنة الأورو- أوربية، فكان قراصنة الهابسبورغ يقومون بعمليات نهب وسلب للسفن الأوروبية التي تمرّ بالسواحل التابعة لهم، كما اكتسح الإنجليز مناطق ساحلية كثيرة، وثار قراصنة هولندا ضد السفن الإسبانية، ومع نهاية القرن السادس عشر وبداية القرن السابع عشر، منع الملك جيمس أعمال القرصنة والغارات في البحار، فتوجه كثير من قراصنة أوربا نحو سواحل شمال إفريقيا ليعيثوا فيها فسادا. (سعيود، 2010-2009، صفحة 123)

وحتى أثناء الثورة الفرنسية سلحت الحكومة التنفيذية قراصنتها من خلال المرسوم الذي أصدرته ضد دول الجزائر، تونس، وطرابلس بتاريخ 15 فيفري 1799م، والذي يذكر فيه صراحة ضرورة تسليح القراصنة الفرنسيين. (مولود قاسم، 2007، صفحة 75).

وينصف **دانيال بانزاك** القراصنة البربريون، حيث يرى أنه لا يجب الخلط بينهم وبين القراصنة "الخارجين على القانون"، أي البحارة الذين يمارسون اللصوصية البحرية، فهم أي قراصنة الجزائر يتصرفون في الواقع في إطار الدول القائمة، (الإيالات)، التي أنشأها العثمانيون في القرن السادس عشر ميلادي ويرفض القول الذي يصف البحارة المتصارعون بين ضفتي البحر الأبيض المتوسط والتي تقول بأن "**البحارة الغربيين الأبطال**" في مواجهة "**القراصنة البرابرة المرعبين.**" (Daniel p. , 2003, pp. 180-182)

من هذا الكلام نستنتج الاعتراف الضمني **لدانيال بانزاك** بأن الكتابات الغربية هي من أعطت الصورة السيئة لقراصنة الجزائر في المقابل جعلت من القراصنة الغربيين أبطال.

ويقول **إدوار كاط** عن القرصنة في البحر الأبيض المتوسط:" وكان الهولنديون، والإنكليز، وأناس من جميع الدول، أكثر شراهة ووحشية في قرصنتهم من الجزائريين، بحيث أصبح البحر الأبيض المتوسط بؤرة لقطاع البحر". (مولود قاسم، 2007، صفحة 74) وقد عمل قراصنة إنكلترا وهولندا مع قراصنة تونس والجزائر، كما سمحت حكومتا إنكلترا وهولندا لقراصنتهما بمهاجمة السفن الفرنسية، فأصبحوا يسرقون وينهبون كل من يصادفونه. فالقراصنة الأوربيون كانوا يقتلون كل من في السفينة لإزالة جريمتهم، عكس القراصنة البربر الذين يأخذونهم كأسرى ويحسنون معاملتهم. (عزيز سامح، 1989، صفحة 375) وفي رده على من ألصق صفة القرصنة بالمسلمين يقول **بروديل**:"... وعلى الرغم من أن المؤرخين أكثروا من الحديث عن القرصنة الإسلامية، خصوصا في الجزائر، فإن القرصنة كانت منتشرة في أنحاء المتوسط كله من دون أن تعرف دينا أو وطنا. فهي مهنة للعيش تتوسل أحيانا الدين كذريعة..." (فرنان، 1993، صفحة 152). ويقول أيضا كان هناك أكثر من جزائر مسيحية في الحوض الغربي للمتوسط، كمالطة وبيزا ولفورن. (محمد خ.، 1979، صفحة 89)

إذا وبدون أي شك كان القراصنة الأوربيون يعتدون أكثر مما كان يعتدى عليهم من قبل القراصنة المغاربة، فغارات القراصنة الأوروبيين المتكررة على سفن القراصنة المغاربة كانت سببا لقيام القراصنة المغاربة بالرد بالمثل والسطو على السفن الأوروبية. (ابراهيم ، 2011، صفحة 150)

رغم الكتابات الكثيرة التي حاولت تشويه صورة البحرية الجزائرية خلال العهد العثماني، إلا أن الحقيقة الواضحة والتي لا تترك مجالا للشك والريبة هي أن الأوربيين هم من بدأوا بأعمال القرصنة، وناصبوا الإسلام والمسلمين العداء في إطار الحروب الصليبية التي انتهت في المشرق الإسلامي، لتبدأ في الحوض الغربي للمتوسط بعد سقوط مملكة غرناطة آخر معاقل المسلمين في الأندلس، فلم تكتف إسبانيا بطرد الأندلسيين وتشريدهم ومحاولة تنصيرهم، بل طاردتهم إلى سواحل شمال إفريقيا، أين قتلت الأبرياء ونهبت المدن، وسيطرت على جل السواحل وتقاسمت مناطق النفوذ بينها وبين البرتغال، إضافة إلى فرسان القديس يوحنا الذين عاثوا فسادا في البحر الأبيض المتوسط.

المطلب الثاني: رياس البحر مجاهدون وليسوا لصوص بحر

لقد رأينا كيف أن الكتابات الأجنبية ألصقت تهمة اللصوصية البحرية على نشاط الأسطول البحري خلال العهد العثماني. ولصوصية البحر كما سبق معنا هي عبارة عن أعمال السلب والنهب، وعدم الاعتراف بأي سلطة، فلص البحر هو من يهاجم أي سفينة يقدر عليها وبدون تمييز، وهدفه من ذلك هو النهب والسطو لمصلحته الخاصة. غير أن رياس البحر الجزائريون كانوا يعملون وفقا للمؤسسات التابعة للدولة، وتحكمهم في ذلك قوانين ويخضعون لسلطة حاكم البلاد.

ويعتبر المؤرخ الفرنسي **هانري غارو** طائفة رياس البحر، بأنها مؤسسة بحرية إسلامية أسست في بداياتها من أجل الدفاع المشروع للقتال ضد الفرسان المسيحيين الذين واصلوا أعمال الحروب الصليبية ضد مسلمي شمال إفريقيا، وبعد ذلك أصبحت مؤسسة دائمة ومقرها الجزائر العاصمة. (Garront, 1910, p. 380) هذا يعني أنه يعترف صراحة بأن الأسطول البحري الجزائري كان عبارة عن مؤسسة منظمة تخضع لقوانين وضوابط، وأن نشاطها كان في بداية الأمر ما هو إلا ردا للعدوان الصليبي الذي نهب وسلب وقتل مسلمي شمال إفريقيا، ودفاعا مشروعا عن البلاد الإسلامية ضد الحملات الصليبية.

ويتحدث القنصل الأمريكي في المغرب **كاثكارت** حين أسرته البحرية الجزائرية سنة 1785م فيقول:"... ولما صعد المسلمون إلى سفينتنا طلبوا منا أن نسلمهم علمها وأوراقها، فأما علم السفينة فلم يكن معروفا لديهم، وأما أوراقنا فلم يكونوا يستطيعون قراءتها ونحن لم نكن نحمل ترخيصا من الداي للملاحة في البحر الأبيض المتوسط وهكذا اعتبرونا غنيمة مباحة." (كاثكارت ، 1982، صفحة 17) وهذا ما يدحض الرأي القائل بأن البحرية الجزائرية كان نشاطها عبارة عن سلب ونهب من دون أي مبرر، بعبارة أخرى لو كانت السفينة تحمل معها ترخيصا من قبل

الداي بممارسة الملاحة لما أسرتها البحرية الجزائرية، وهذا ما يؤكد أن الأسطول الجزائري كان يخضع لمؤسسات الدولة، ولم يكن يعمل وفقا لهواه.

ولقد عمد الأوربيون إلى سياسة الكيل بمكيالين، فقد أطلقوا على الجزائريين لصوص البحر، في المقابل وصفوا الصليبيين بجنود المسيح، وفرسان الله، والمجاهدين من أجل الوطن، وغيرها من الأوصاف الحميدة. بينما لم تحتل الجزائر أي مدينة أوربية، وكانوا هم من يغزوننا في عقر دارنا، ويحتلون مدننا، وهم البادئون بالهجوم، والجزائر كانت ترد العدوان، وعندما كونت قوة بحرية رادعة اضطرت اضطرارا إلى الانتقال من الدفاع إلى الهجوم لكي تحافظ على حدودها وأمن رعاياها. (يحي، 2009، صفحة 184)

أما بخصوص الافتراءات والأكاذيب التي أطلقت كذبا وزورا على بحارة الجزائر، وبالخصوص الإخوة بربروسا، من خلال إظهارهم بمظهر القراصنة الذين يسلبون وينهبون ويقتلون من أجل كسب الأموال وسبي النساء وكذا البحث عن المجد الشخصي، حيث نجد أن معظم الكتابات الأجنبية التي تختبأ وراء حقدها الصليبي تعطينا نصف الحقيقة التاريخية فقط، خاصة في حديثها عن الغزوات والمعارك التي خاضها الإخوة بربروسا، فتظهرهم لنا بمظهر القساة الذين يبطشون بالنساء والأطفال وحتى الأسرى بدون أي رحمة. فنذكر مثلا المعركة التي تم من خلالها تحرير **حصن البنيون** من الحامية الإسبانية التي كانت هناك، فتأتي هذه الكتابات الغربية لتصور لنا المشهد الفظيع وحالة الجحيم التي عاشها كل من كان بداخل هذه القلعة، التي استطاع خير الدين أن يفتحها ويقتل الجنود الذين كانوا هناك وعلى رأسهم قائد الحامية العسكرية. ولكن ما لا نجده في هذه الكتابات هي الأعمال الوحشية التي كان الجنود الإسبان يفعلونها، فعلى سبيل المثال لا الحصر، كانوا يمطرون مدينة الجزائر بوابل من القذائف المدفعية، بل تعدوا الى أكبر من ذلك، حيث يذكر لنا **خير الدين** في مذكراته حين يتكلم عن هذه الحادثة أشياء قل ما نجدها في كتب المؤرخين الصليبيين، فيقول:" عندما كانت القلعة في يد الاسبان كانوا يقومون بقصف المآذن عندما يسمعون الأذان. لقد كانوا يفعلون ذلك فقط من باب التسلية. لكننا عندما استقرينا في الجزائر توقفوا عن فعلهم الشنيع خوفا منا. فحزنوا لفوات هذه التسلية التي كانوا يقومون بها." (خير الدين، 2010، صفحة 136)

ما يوضح لنا نظرة الاستهتار والاستهزاء والازدراء التي كان الإسبان ينظرون بها إلى سكان الجزائر، فقد كانوا يقصفون ويدمرون المدن ويقتلون الأبرياء لمجرد التسلية، إذا فخير الدين لم يأت بشيء جديد بل عاملهم بالمثل وانتقم للأبرياء الذين ماتوا جراء هذا القصف.

وهذا مثال واحد فقط من بين العديد من الأمثلة التي حاول المؤرخون الغربيون طمس الحقيقة بها وتظليل الناس، بالاعتماد على سرد أنصاف الحقائق فقط.

إذا فمصطلح لصوص البحر الذي أطلق على بحارة الجزائر ليس بالمصطلح الذي يمكننا أن نطلقه على من كان يدافع عن بلاده، فالجزائر دافعت عن حدودها وحررت سواحلها ومدنها التي اخذت منها، وعندما استطاعت تكوين أسطول قوي بادرت بالهجوم على القراصنة الأوربيون، وأمنت الملاحة في الحوض الغربي للمتوسط وطردت الإسبان وفرسان القديس يوحنا من تونس وطرابلس، وأمنت محيطها العربي الإسلامي، في إطار الجهاد البحري ضد العدوان الصليبي.

المطلب الثالث: الأسرى في الجزائر بين الحقيقة التاريخية والدعاية الاستعمارية

شكل موضوع الأسرى في الجزائر خلال العهد العثماني، مادة دسمة لكل من أراد ان يشوه صورة الجزائر في تلك الفترة، فقد أخذت الكتابات الغربية تتحامل على الجزائر وتصف الوقوع في أسر البحارة الجزائريين بمثابة كابوس وجحيم، لا يرتاح فيه صاحبه إلى بالموت، متناسين بذلك حالة الأسرى المسلمين في الدول الغربية، ولكي نعرف حقيقة معاناة الأسرى المسيحيين في الجزائر، وفهم وضعية السجون فيها لابد أن نقارنها بما لاقاه الأسرى المسلمين في مختلف الدول الأوربية. حيث يقول **لوجي دو تاسي** في كتابه تاريخ مملكة الجزائر حين يتحدث عن الأسرى المسيحيين، لا يعاملون بقسوة في الجزائر العاصمة، كما يعتقد الكثير من الناس، بل إنهم لا يُعذبون لإجبارهم على التصرف مع المسلمين. نحن مخطئون جدا. العبيد لا تساء معاملتهم ولا يؤدبون إلا إذا فشلوا بشكل خطير في أداء واجبهم. لا يُجبرون على العمل بما يفوق طاقتهم، ويُعفون من الخوف من إصابتهم بالمرض وفقدانهم. هناك من يظن أنهم لا يريدون الفداء، مهما كانت الإمكانيات لديهم، ولا يشعر هؤلاء الأسرى بأي ألم سوى حرمانهم من حريتهم. صحيح الأسرى محرومين من وسائل الراحة والملذات التي توفرها لهم بلدهم، والأشغال التي يعملونها في الجزائر لا تتناسب مع ذوقهم وتجعلهم يظهرون بمظهر العبودية القاسية. ويضيف **لوجي دو تاسي**، يحين يقارن الأسرى المسيحيين بالأسرى المسلمين نعم هناك بعض الاستثناءات فالبعض يعاملون أسراهم بقسوة، لكن هذا لا يعمم على الوضع العام للأسرى. وحتى مع هذه القسوة، لا يمكن مقارنتها بالمعاملة التي لحقت بالجزائريين من مملكة الإسبان. ويصف لنا **لوجي دو تاسي** معاناته عندما كان أسيرا عند الإسبان فيقول: "عندما كنت أسيرًا في حرب الإسبان في عام 1706م، عوملت هناك بقدر كبير من الوحشية والصرامة لدرجة أنني كنت أفضل عشر سنوات من العبودية في الجزائر العاصمة على سنة من السجن في إسبانيا" (De tassy, 1837, p. 329)

ويضيف **شارل اندري جوليان** حول هذا الموضوع فيقول:" إذا كانت حياة الأسرى الأوربيين المستعملين في تجديف السفن تثير أكبر شفقة، فقد كانوا أسعد حظا بكثير من الأسرى البربرسكيين (من بلدان المغرب) الذين كانوا مستعملين في تجديف سفن ملك فرنسا والذين كانوا يوسمون بالحديد المحمى ويمنعون من ممارسة شعائر دينهم." (مولود قاسم، 2007، صفحة 75) أي أن الأسر في الجزائر كان عبارة عن جنة ونعيم إذا ما قارناه بالأسر في إسبانيا، وهذا بشهادة المسيحيين قبل المسلمين.

لقد تمتع الأسرى في الجزائر بصفة عامة، بحرية نسبية، فقد سمح لهم بالاحتفال بأعيادهم، وممارسة شعائرهم الدينية، كما خصصت لهم مقبرة لدفن موتاهم، وعوملوا معاملة حسنة وقد ارتقى بعضهم في المناصب على غرار **سيمون بفايبر** الذي كان يشتغل طباخا ثم طبيبا لدى حكومة الداي، والأسير **كاثكارات** الذي تولى منصب رئيس موظفي القصر في عهد الداي حسن. (أرزقي ، 2005-2006، صفحة 143)

وفي هذا الصدد دائما، يقول **وليام شالر** قنصل أمريكا في الجزائر بأن الأسيرات كن دائما يعاملن بالاحترام الذي يفرضه جنسهن، أما الرجال فلم يكن يطلب منهم أشغال فوق طاقتهم، بل يعاملون معاملة إنسانية، لدرجة السماح لهم بالخروج والذهاب أينما أرادوا مقابل دفع مبلغ 75 سنتيم في الشهر، إذا وجد الأسير من يكفله ويضمن عدم هروبه. هذا عند الأشخاص العاديين، أما الأسرى الذين يعملون في القصور أو عند كبار المسؤولين في الدولة والشخصيات المهمة، فكانوا يعاملون بأقصى اللطف، وكان البعض منهم يكون ثروة طائلة يحملها معه عند مغادرته البلاد. (وليام ، 1982، صفحة 100)

ويوافقه في هذا الرأي أيضا **ياتسيك ماخوفيسكي** حيث يتحدث عن معاملة الجزائريين للأسرى فيقول بأنهم يعاملون في الغالب معاملة حسنة إلا في بعض الحالات اين يعاملون بطريقة قاسية، ويضيف قائلا:" كان المغاربة يقدرون أصحاب الحرف والفنانين والأطباء تقديرا رفيعا، وكانوا كثيرا ما يعيدون للعبيد حريتهم." أما بخصوص الأسيرات المسيحيات، فالجميلات منهن يرسلن إلى الحريم، بينما المسنات والغير جميلات يستخدمن في الأعمال المنزلية. (ياتسيك، 2008، الصفحات 113-114)

وبخصوص المسيحيين الذين اعتنقوا الإسلام فالحقيقة عكس ما تروج له الكتابات الغربية، على أنهم أرغموا على دخول الإسلام، فالجزائريون لم يجبروا أسراهم على اعتناق الإسلام، وفي هذا المجال يكتب **لوجي دو تاسي** ويقول بأن الأسياد سيخسرون الكثير من جراء اعتناق الأسرى المسيحيين للإسلام، فهم بذلك سيفقدون الأموال التي كان من الممكن أن يقدمها أقرباؤهم من أجل افتدائهم. (De tassy, 1837, p. 86)

في الأخير يمكن القول بأن الكتابات الغربية لعبت دورا كبيرا في تشويه صورة الجزائر العثمانية، حيث صورت لنا النشاط البحري الجزائري خلال العهد العثماني على أنه من أعمال القرصنة البحرية بمفهومها الأوربي أي لصوصية البحر، والتي تعتمد على السلب والنهب والتعطش لسفك الدماء وسبي النساء وأسر المسيحيين، وهذا كله يدخل في دائرة الدعاية المغرضة ضد الإسلام ومحاولة توحيد الصف الأوربي الصليبي ضد مسلمي شمال افريقيا.

إن ما قامت به الجزائر يدخل في دائرة الحروب التي شنتها القوى الأوربية الصليبية ضد الإسلام والمسلمين، فكانت طرفا من بين عدة أطراف شاركت في تلك المعارك، غير أن الكتابات الاستعمارية وعلى رأسها الفرنسية تجاهلت القرصنة الأوربية والأعمال الوحشية التي قاموا بها، وركزوا دعايتهم الكاذبة والزائفة للحديث عن القرصنة الجزائرية وذلك بهدف إيجاد مبرر يتيح لها غزو الجزائر، وكسر شوكة الدولة الجزائرية لتحقيق مصالح صليبية استعمارية.

الفصل الثاني: أطروحة القائلين بالجهاد البحري

المبحث الأول: القائلين بالجهاد البحري وادلتهم

المبحث الثاني: نقد وتحليل هذا الرأي

المبحث الأول: القائلين بالجهاد البحري

المطلب الأول: سقوط غرناطة ونشأة الجهاد البحري في الحوض الغربي للمتوسط

1_ الجهاد البحري في الإسلام

2_ معاناة مسلمي الأندلس بعد سقوط غرناطة

3_ التحرشات الإسبانية على سواحل شمال إفريقيا وتداعياتها

المطلب الثاني: انضمام الجزائر للدولة العثمانية وتزعمها للجهاد البحري

1_ استنجاد سكان الجزائر بالإخوة بربروسا

2_ الجزائر إيالة عثمانية

3_ البعد الجهادي لنشاط البحرية الجزائرية

المطلب الثالث: البحرية الجزائرية وحركتها الجهادية

1_ البحرية الجزائرية في مواجهة الهجمات الصليبية

2_ البحرية الجزائرية والمساهمة في تحرير البلاد الإسلامية

3_ مشاركة البحرية الجزائرية في الحروب العثمانية

1985
جامعة محمد بوضياف - المسيلة
Université Mohamed Boudiaf - M'sila

المبحث الأول: القائلين بالجهاد البحري

عمدت الكثير من الكتابات والدراسات الغربية على تسمية نشاط البحرية الجزائرية خلال العهد العثماني بالقرصنة واللصوصية البحرية، لهذا حاول العديد من الكتاب العرب والمسلمين وبعض الاستثناءات من الكتاب الغربيين التصدي لهذا الطرح ومعالجته معالجة علمية تاريخية تهدف إلى تصحيح المفاهيم ووضع هذا المصطلح في إطاره التاريخي الصحيح. ولمعالجة لهذا الموضوع يجب التركيز على كيفية إقناع الطرف الآخر بمشروعية النشاط البحري للأسطول الجزائري، إذ لا يكفي أن ننكر صفة القرصنة واللصوصية البحرية عليه فحسب، وإنما كيف نثبت أن هذا النشاط هو نوع من الأعمال المشروعة، هدفه الرئيس حماية المواقع والثغور الإسلامية، ورد الأخطار المحدقة بها وملاحقتها والقضاء عليها. (انيس عبد الخالق، 2008، الصفحات 49-50)

المطلب الأول: سقوط غرناطة ونشأة الجهاد البحري في الحوض الغربي للمتوسط

1_ الجهاد البحري في الإسلام

يعد الدافع الديني هو السبب الأساسي والرئيسي لأغلب الحروب والمواجهات العسكرية، التي وقعت في الحوض الغربي للمتوسط في الفترة الحديثة، فالنزعة الصليبية التي برزت في إسبانيا وجهت أنظارها نحو دول شمال إفريقيا، لكنها اصطدمت بجهاد إسلامي تزعمه في بادئ الأمر الإخوة بربروسا. الذين حملوا على عاتقهم إنقاذ مسلمي الأندلس الفارين من الاضطهاد الصليبي الإسباني. (خالد عمر، 2000، صفحة 105)، إذن فالمواجهة العسكرية في تلك الفترة كانت شكلا من أشكال الجهاد الإسلامي ضد الصليبية، إما لنصرة المسلمين أو لرد العدوان. (كورين، 2007، صفحة 49)

لم يكن ركوب البحر قديما من إهتمامات العرب قبل الإسلام، عكس الإفرنج الذين برعوا فيه، وذلك راجع للظروف الطبيعية أساسا، لكن بظهور الإسلام أصبح لزاما على المسلمين الاهتمام بالقوة البحرية لنشر تعاليم الدين الإسلامي. (محمد الامين، 2011-2012، صفحة 52)، ويستمد الجهاد البحري مقوماته وأسسه من الآيات الكريمة التي وردت فيها كلمة البحر، ومن الأحاديث النبوية الشريفة، التي حثت صراحة على الجهاد في البحر وبينت فضله ومكانته وأجره في الإسلام.

- **الآيات القرآنية**: وردت آيات قرآنية تشير إلى فوائد ركوب البحر ومنافعه، منها قول الله تعالى:" **وَسَخَّرَ لَكُمُ الْفُلْكَ لِتَجْرِيَ فِي الْبَحْرِ بِأَمْرِهِ وَسَخَّرَ لَكُمُ الْأَنْهَارَ**" (ابراهيم:22)

وقوله تعالى: "**هُوَ الَّذِي يُسَيِّرُكُمْ فِي الْبَرِّ وَالْبَحْرِ ۖ حَتَّىٰ إِذَا كُنتُمْ فِي الْفُلْكِ وَجَرَيْنَ بِهِم بِرِيحٍ طَيِّبَةٍ وَفَرِحُوا بِهَا جَاءَتْهَا رِيحٌ عَاصِفٌ وَجَاءَهُمُ الْمَوْجُ مِن كُلِّ مَكَانٍ وَظَنُّوا أَنَّهُمْ أُحِيطَ بِهِمْ ۙ دَعَوُا اللَّهَ مُخْلِصِينَ لَهُ الدِّينَ لَئِنْ أَنجَيْتَنَا مِنْ هَٰذِهِ لَنَكُونَنَّ مِنَ الشَّاكِرِينَ**" (يونس: 22)

ولقد جاء الإسلام ليحث المسلمين على الجهاد في سبيل الله في قوله تعالى: "**وَأَعِدُّوا لَهُم مَّا اسْتَطَعْتُم مِّن قُوَّةٍ وَمِن رِّبَاطِ الْخَيْلِ تُرْهِبُونَ بِهِ عَدُوَّ اللَّهِ وَعَدُوَّكُمْ وَآخَرِينَ مِن دُونِهِمْ لَا تَعْلَمُونَهُمُ اللَّهُ يَعْلَمُهُمْ ۚ وَمَا تُنفِقُوا مِن شَيْءٍ فِي سَبِيلِ اللَّهِ يُوَفَّ إِلَيْكُمْ وَأَنتُمْ لَا تُظْلَمُونَ**" (الانفال: 60)

أي أعدوا للكافرين كل ما تقدرون عليه من القوة العقلية والبدنية وأنواع الأسلحة ونحو ذلك مما يعين على قتالهم، فدخل في ذلك أنواع الصناعات والأسلحة والآلات والمراكب البرية والبحرية، والحصون والقلاع، وآلات الدفاع.

– **الأحاديث النبوية الشريفة:** جاء في الأثر النبوي عن ركوب البحر عدة أحاديث صحيحة، منها ما رواه الطبراني عن أبي الدرداء رضي الله عنه قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: "**فضل غازي البحر على غازي البر كعشر غزوات**" (مسلم، صفحة 05) وقوله صلى الله عليه وسلم: **غزوة في البحر خير من عشر غزوات في البر ومن أجاز البحر فكأنما. أجاز الأودية كلها، والمائد فيها كالمتشحط في دمه**" (الطاهر، 2020، صفحة 133) والمجاهد الذي يجاهد ويقارع أعداء الله تعالى في البحر فيغرق فله أجر شهيدين لا ينقص من أجرهم ومقامهم شيء وهذا ما عبر عنه رسولنا الكريم صلى الله عليه وسلم في الحديث المروي عن أم حرام رضي الله عنها، أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال: "**المائد في البحر الذي يصيبه القيء له أجر شهيد، والغرق له أجر شهيدين**" (مسلم، صفحة 06)

فالجهاد البحري تفوق على شقيقه الجهاد البري بنقاط عديدة ودرجات كثيرة، لأن البحر أعظم خطرا ومشقة من البر، لأن المجاهد في البحر بين خطر العدو وخطر الغرق ولا يتمكن من الفرار إلا مع أصحابه فكان أفضل من غيره. وقال في هذا الصدد الإمام القاضي أبو بكر بن العربي عليه رحمة الله تعالى: "**من أراد أن يوقن بالله أنه الفاعل وحده لا فاعل معه، وأن الأسباب ضعيفة لا تعلق لموقن بها ويتحقق التوكل والتفويض فليركب البحر**". (مسلم، صفحة 03)

فهذه الآيات والأحاديث النبوية الشريفة، والتوجيهات الدينية، من شأنها أن تترك الأثر البالغ في البنية الفكرية عند المسلمين، وتحثهم على إيجاد سبل جهادية، في البر والبحر، وتحفزهم على طلب الشهادة عموما وعلى شهادة البحر بالخصوص لما لها من فضل وثواب كبير عند الله، وكل ذلك لنيل الرضوان والفوز بالجنان من جهة، وتحقيق ما هو أفضل للبلاد والعباد من جهة أخرى.

2_ معاناة مسلمي الأندلس بعد سقوط غرناطة

لقد تضمنت المعاهدة المبرمة بين **عبد الله الصغير** آخر ملوك غرناطة وبين **فرديناند وايزابيلا** بتاريخ 25 نوفمبر 1491م على تسليم مملكة غرناطة للإسبان، وبالتالي خروج الأندلس عن السيطرة الإسلامية التي دامت حوالي ثماني قرون، لكن في المقابل نصت المعاهدة أيضا على تأمين الصغير والكبير في النفس والمال والأهل وإبقاء الناس في مساكنهم ودورهم مع احتفاظهم بشريعتهم ومعتقداتهم إضافة إلى ذلك عدم مصادرة أي شيء من المسلمين سواء ما تعلق بأسلحتهم أو خيولهم أو أي شيء أخر، ومن أراد العبور إلى عدوة المغرب فله ذلك ومن أراد البقاء يبقى معززا مكرما. (حتاملة، 1980، الصفحات 19-20)

على الرغم من أن هذه المعاهدة كانت واضحة، صريحة وملزمة للإسبان إلا أنهم ضربوا بها عرض الحائط، ففرضوا التنصير على المسلمين أو الهجرة القصرية ونصبت محاكم التفتيش ومنعوا المسلمين من حمل السلاح وممارسة معتقداتهم وكذا شعائرهم الدينية ومارسوا عليهم كل أشكال الاضطهاد والتضييق والتعذيب في محاولة منهم لتجريدهم من كل مقوماتهم الإسلامية، (بشتاوي، 2000، الصفحات 127-130)، وهكذا تحولت حياة مسلمي الأندلس إلى جحيم، وأصبح الموت يلاحقهم أينما حلوا وارتحلوا حتى داخل أقبية الكنائس فلم تراع حرمتها المقدسة، حتى أصبح اللجوء إلى الجبال والمغارات حبل النجاة الوحيد الذى يبعدهم عن أعين المراقبة، خاصة بعد اشتداد موجة الانتقام، التي لم يسلم منها لا الكبير ولا الصغير وحتى الشيوخ الطاعنين في السن، فقد قتلوا دون رحمة، وأحرقت قراهم ومنازلهم. (يحياوي ، 2004، صفحة 127) كما فرض عليهم العيش في أحياء خاصة بهم وارتداء ملابس معينة وان يحملوا إشارة زرقاء على القبعة إذا ما بقوا على دينهم، كما حرم عليهم بيع الحرير والذهب والأحجار الكريمة، ووصل اضطهادهم لدرجة إجبارهم على السجود إذا مر أمامهم كبير الأحبار. وسلطت عليهم أقصى أنواع العقوبات إذا لوحظ منهم الولاء لماضيهم أو التعلق بدينهم في أبسط مظاهره وعاداته. (عبد الجليل ا.، 1975، الصفحات 37-38)

في ظل هذه الظروف القاسية لم يبق أمام مسلمي الأندلس من حل سوى النزوح للمغرب العربي أين وجدوا الدعم والمدد من إخوانهم في العقيدة، فقد هاجر عدد كبير منهم إلى الجزائر واتخذوها ملجأ لهم، وربطوا مصيرهم بمصير سكان شمال إفريقيا وشاركوهم في عمليات التصدي للهجمات الإسبانية. (حنيفى، 2014، الصفحات 321-322) ومع قدوم عديد البحارة الأندلسيون الذين هاجروا من الأندلس بدأت حركة الجهاد الإسلامي في الحوض الغربي للمتوسط، غير أن حركة الجهاد هذه لم تكن منتظمة ولا منظمة، بل اعتمدوا على أسلوب الكر والفر بسبب عدم قدرتهم على الدخول في حرب نظامية ضد القوى الصليبية التي تألفت من إسبانيا والبرتغال وفرسان القديس يوحنا، إلى أن جاء الإخوة بربروسا الذين استطاعوا تجميع القوات الإسلامية وتوحيدها ضد أعداء الإسلام. ودخلوا تحت سيادة الدولة العثمانية من أجل الجهاد ضد الصليبيين. (فتحي ، 2011، صفحة 149)

3_ التحرشات الإسبانية على سواحل شمال إفريقيا وتداعياتها

كان سقوط مملكة غرناطة أخر معاقل المسلمين في الاندلس على 1492م بداية لمرحلة جديدة في تاريخ المغرب الإسلامي، (عبد الله و محمد ، 1965، صفحة 117) فقد حقق زواج **فرديناند**، ملك اراغون **بايزابيلا**، ملكة قشتالة وحدة إسبانية ساهمت في إخراج المسلمين من الأندلس وتوجيه أنظارهم نحو شمال إفريقيا، الذي كان يعيش حالة من الضعف والتشتت وتفكك في السلطة السياسية وانتشار الفوضى فصارت أقطار المغرب العربي ولا سيما المغرب الأوسط فسيفساء سياسية يصعب تحديدها وتوحيدها (محمد خ.، 1979، الصفحات 14-15)

3-1 احتلال المرسى الكبير ووهران (1505-1509)م

شجع تدهور الأوضاع السياسية في شمال إفريقيا **فرديناند** على تنفيذ وصية زوجته **ايزابيلا** في التوسع خارج إسبانيا ونشر المسيحية واحتلال المغرب الإسلامي وكان هذا بمباركة ودعم مالي من الكنيسة وعلى رأسها الكاردينال **خمينيس**. فجهز فرديناند أسطولا بحريا قويا قوامه سبع بواخر حربية و مائة وأربعين زورقا مختلف الأحجام وحوالي عشرة آلاف شخص (مبارك بن محمد، صفحة 22) تحت قيادة **(دون دييجو فرناند دوكور دوفا)** قائدا عاما للحملة، وفي العاشر من شهر سبتمبر عام 1505م رست الحملة الإسبانية على سواحل المرسى الكبير وسط ذهول السكان من هذا الهجوم المفاجئ، فحقق الجيش الإسباني نصرا ساحقا ما دفع بالحامية الموجودة في الميناء إلى الاستسلام، ونتيجة لهذا النصر ارتكب الإسبان جرائم شنيعة وأعمالا وحشية قل نضيرها في

حق سكان المنطقة. (عزيز سامح، 1989، صفحة 17) لكن الإسبان لم يقفوا عند احتلال المرسى الكبير بل توجهت أنظارهم نحو مدينة وهران، فعين الملك الاسباني **فرديناند** الكاردينال **خمينيس** قائدا عاما للحملة الموجهة لإحتلال المدينة التي تعتبر إحدى أهم المدن نظرا للموقع الاستراتيجي والجغرافي الذي كانت تتمتع به. توجه الأسطول الإسباني والذي كان على رأسه القائد **دون بيدرو نفارو** (**Don bedro navaro**) إلى مدينة وهران يوم 07 ماي 1509م على رأس جيش قوامه 15 ألف جندي تقله 33 باخرة حربية و 51 زورقا صغيرا، وعند وصول الأسطول انضمت له القوات المتواجدة في المرسى الكبير، كان أهالي المدينة قد استعدوا للدفاع عن المدينة وقامت معارك عنيفة على مشارفها، لكن كانوا أقل عددا وعتادا من الجيش الإسباني ما اضطرهم للعودة الى المدينة والاحتماء بأسوارها وحصونها المنيعة (محمد د.، 2012، صفحة 106) لكن استطاع الإسبان دخول المدينة بعد خيانة شخص يهودي اسمه **اشطورا** الذي تمكن من فتح باب المدينة للإسبان وبمساعدة الخائنين "**عيسى العريبي**" و" **ابن قانص**" ونتيجة لهذه الخيانة تمكن الإسبان من ذبح أربع آلاف مسلم، وأسر ثمانية آلاف، وإنقاذ ثلاثمائة أسير مسيحي. (عمار ، 1997، صفحة 47)

3-2 احتلال بجاية وإقامة حصن البنيون بالجزائر 1510م

بعد أن أتم الإسبان إقباض سيطرتهم على الغرب الجزائري توجهت أنظارهم إلى شرقه، وبالضبط غلى مدينة بجاية التي كانت تعد من أهم المدن الجزائرية نظرا لإشرافها على ميناء هام جدا ساهم في وصول عدد كبير من مهاجري الأندلس الفارين من الاضطهاد الإسباني، إضافة إلى ذلك كانت من أهم الحواضر العلمية والتجارية والعمرانية. وكان احتلال المدينة سيمكن الإسبان من السيطرة على مواقع حساسة لمراقبة البحر الأبيض المتوسط والسيطرة على الملاحة والتجارة في معظم سواحله. (نجيب ، 2001-2002، صفحة 28)

فقام **بيدرو نافارو** بتجهيز حملة عسكرية تشمل 20 سفينة كبيرة تحمل 10 آلاف رجل صوب مدينة بجاية ووصلها يوم 05 جانفي 1510م وتمكن من دخول المدينة والسيطرة عليها بعد معارك استبسل فيها الشعب لكن لم يكتب له فيها النجاح، ودفع الشعب ثمنا باهظا جراء هذه الهزيمة فقد راح ضحية هذه المذبحة أكثر من 4 آلاف شهيد، وأمعن الإسبان في التخريب ونهب ثروات ونفائس وخيرات المدينة وفعلوا فيها كما فعلوا في مدينة وهران. (احمد توفيق ا.، 1976، الصفحات 120-122) ومنها أرادوا التوجه لمدينة الجزائر التي كان يحكمها **سالم التومي**. فشعر أهلها بالخوف فأوفدوا سفراء إلى بجاية لطلب الصلح من **بيدرو نفارو** الذي أشار عليهم أن يذهبوا

إلى إسبانيا ليعقدوا صلحا مع الملك، فنفذوا ذلك وكان على رأس الوفد **سالم التومي** وحملوا معهم 130 مملوكا مسيحيا كانوا أسرى في الجزائر إضافة إلى الكثير من الهدايا الباهظة، فاستقبلهم الملك وعقد معهم صلحا لمدة عشر سنوات وكان هذا في 31 جانفي 1510م على أن يدفعوا جزية سنوية لإسبانيا، (عبد الحميد ب.، 1972، صفحة 68) معلنين بذلك الخضوع والرضوخ للعدو دون أي مقاومة تذكر، كل هذا نضير احتفاظهم بمناصبهم. و لتكتمل فصول الطاعة والولاء وافق أعضاء الوفد على تسليم الإسبان جزيرة تعتبر خط الدفاع الأول للمدينة وما جاورها وهي جزيرة صخرية لبناء حصن قوي سمي **بحصن الصخرة** ووضعوا فيه حامية عسكرية، وهكذا أصبحت الجزائر محاصرة لا يدخل اليها أحد أو يخرج منها إلا برضى الإسبان (أبو القاسم، 2007، صفحة 325)

3-3 الإسبان في بقية سواحل المغرب الأوسط

استطاع الاحتلال الإسباني على إثر عملياته العسكرية، السيطرة على مناطق بجاية شرقا، ووهران غربا، وصخرة الجزائر وسطا، وكان هدف الملك الإسباني هو تطويق المغرب الأوسط وحصاره بشتى الطرق المتاحة، لتوسيع نطاق التواجد الإسباني في السواحل ثم التوسع في المناطق الداخلية للبلاد. (سمير م.، 2018-2019، صفحة 28) فقد حذت مدينة مستغانم ودلس وشرشال حذو مدينة الجزائر حيث أرسلوا وفودا للإسبان وقدموا الطاعة والولاء والالتزام بدفع الضريبة لها، أما تنس فلقد أعلنت تبعيتها منذ احتلال وهران وبذلك أحكم الإسبان قبضتهم على سواحل الجزائر الشرقية والغربية والوسطى (زهيرة ، 2014-2015، صفحة 31)

ومما سبق نستنتج أن الإسبان استطاعوا السيطرة على أهم المدن الساحلية، ابتداء بالمرسى الكبير ثم وهران وصولا إلى بجاية وعنابة وغيرها من المدن والموانئ في ظرف وجيز، ما يعطينا فكرة عن حجم التشتت والتفكك والصراعات الداخلية التي ميزت المنطقة، إضافة إلى غياب أي سلطة سياسية مركزية يمكنها الوقوف في وجه الاحتلال الإسباني، الذي قام بجرائم وحشية ضد مسلمي شمال إفريقيا، مكملا بذلك سلسلة الجرائم التي بدأها ضد المسلمين في الأندلس.

المطلب الثاني: انضمام الجزائر للدولة العثمانية وتزعمها للجهاد البحري

أمام كل الحملات الصليبية على السواحل الجزائرية، وفي هذه الفترة الحرجة من تاريخ الجزائر الحديث وصلت أخبار انتصارات أربعة إخوة مسلمين (**عروج، خير الدين، محمد إلياس وإسحاق**)، في الحوض الغربي للمتوسط والذين وضعوا على عاتقهم مهمة إنقاض مسلمي الأندلس الفارين من الاضطهاد الإسباني، أطلق عليهم لقب **بربروسة** (ذو اللحى الشقراء)، تلقوا في صباهم تربية إسلامية ورعة وتميزوا بالشجاعة ومعرفة البحار وحب الجهاد في سبيل الله مما جعلهم بحارة مهابي الجانب في البحر الأبيض المتوسط (نجيب ، 2001-2002، صفحة 47)

1_ استنجاد سكان الجزائر بالإخوة بربروسا

بعد أن ظهر الاخوة بربروسة في الحوض الغربي للمتوسط وعلا شأنهم وأشتهر اسمهم، توجه **عروج** بأسطوله إلى تونس وصالح سلطانها **محمد الحفصي** على خمس الغنائم التي يغنمونها مقابل السماح لهم باتخاذ مدينة جربة قاعدة بحرية لهم، ولحق به أخوه خير الدين. وقرر الإخوة الأتراك مزاحمة ومهاجمة الإسبان في الحوض الغربي للمتوسط. (إسماعيل ، 1312هـ، صفحة 359) خاصة بعدما استنجد بهم سكان مدينة بجاية سنة 1512م لتحريرهم من الاحتلال الإسباني نظرا لما سمعوا عنهم وعن بطولاتهم. وفي هذا الصدد يتحدث **خير الدين** في مذكراته عن فحوى الرسالة التي وصلتهم من أعيان وأهالي مدينة بجاية والتي قالوا فيها:" إن كان ثمة مغيث فليكن منكم أيها المجاهدون الأبطال. لقد صرنا لا نستطيع أداء الصلاة أو تعليم أطفالنا القرآن الكريم لما نلقاه من ظلم الإسبان. فها نحن نضع أمرنا بين أيديكم. جعلكم الله سببا لخلاصنا بتسليمه إيانا وإليكم، فتفظلوا بتشريف بلدنا وعجلوا بتخليصنا من الكفار". (خير الدين، 2010، صفحة 67) وتلبية لنداء السكان حاصر **عروج** مدينة بجاية وبدأ بقصفها، وبعد ثمانية أيام من القصف استطاع فتح ثقبا في جدار القلعة لكن أثناء ذلك أصيب بجرح في ذراعه الأيسر جراء قذيفة أصابته، فأسرع به أصدقائه ونقلوه إلى تونس للعلاج، وبسبب هذه الحادثة فقد عروج ذراعه الأيسر. (محمد ا.، 2012، صفحة 294) وفي نفس السنة عاود عروج محاولته لتحرير مدينة بجاية للمرة الثانية بأسطول مكون من 12 سفينة حربية على متنها ألف بحار فحاصروها برا وبحرا، واستولى على القلعة القديمة بعد هجوم خاطف، وتدعم جيشه بقوات محلية من القبائل المجاورة، ودارت معارك بين الطرفين تكبد على إثرها الطرفان خسائر كبيرة، ومع منتصف سبتمبر ومع بداية فصل تساقط الأمطار انسحب سكان القبائل إلى قراهم

ومداشرهم لحرث أراضيهم وكان هذا من أسباب فشل الحملة الثانية لتحرير المدينة. (نجيب ، 2001-2002، صفحة 49)

أدرك عروج أن تمركزه بحلق الوادي في تونس لا يساعده على تحرير بجاية التي استعصت عليه، لذلك قرر البحث عن مقر جديد له ولجيشه يكون قريب من بجاية، فكانت مدينة جيجل الأنسب لذلك والتي كانت تحت سيطرة قراصنة جنوة الإيطاليين منذ عام 1260 م قبل أن يهجم عليها **اندريا دوريا** ويضمها إليه سنة 1513م. وتلبية لطلب سكان مدينة جيجل جهز عروج جيشا وتوجه للمدينة واستطاع اخراج الإسبان من المدينة سنة 1514م وجعلها مركزا له. (يحي، 2009، صفحة 12) وكان من بين من ساعد عروج على الاستقرار بجيجل **أحمد بلقاضي**، الذي التحق به عند محاولته تحرير بجاية. عاد عروج بالاتفاق مع حليفه ابن القاضي لمحاصرة بجاية في أوت 1514، فكانت مدافعه تقصف المدينة من جهة البحر، وجيش ابن القاضي يحاصر المدينة برا. دام الحصار مدة ثلاثة أشهر (صالح ، 2012، صفحة 45) ومع طول مدة الحصار نفد البارود من قوات **عروج** فطلب المعونة من السلطان الحفصي لكنه رفض. ووسط هذه الضائقة التي يمر بها جيش عروج وصلت خمسة سفن بعساكرها من إسبانيا لنجدة القوات الإسبانية فلم يجد عروج حل سوى الانسحاب برا نحو جيجل بعد أن قام بحرق جميع سفنه لكي لا تبقى غنائم للإسبان (عزيز سامح، 1989، صفحة 48)

أما مدينة الجزائر فقد رفض سكانها أداء ولاء الطاعة للملك الجديد **كارل الخامس**، بعد وفاة الملك **فرديناند** سنة 1516م. ولتجنب غضب الإسبان راسل سكان المدينة **عروج** وطلبوا منه المساعدة، فلبى النداء فورا، (نيقولاي ، 1988، صفحة 101) ودخلته نخوة الجهاد، فأوصى أهالي جيجل أنه إذا قدم أخوه خير الدين أن يجهز له مددا من المجاهدين يستعين بهم على الجهاد من أجل تحرير قلعة البنيبون التي كانت تحت سيطرة الإسبان (مؤلف مجهول، 2009، صفحة 83) ورغم أنه لم ينجح في الاستيلاء على قلعة **البنيبون** إلا انه استطاع أن يثبت أقدامه في مدينة الجزائر رغم المؤامرة التي اشتركت فيها بعض القبائل برئاسة **سالم التومي**، وبعد أن خضعت له مدينة الجزائر التي نصب نفسه ملكا عليها، ثم أخذ يبسط نفوذه على المناطق المجاورة كمليانة، والمدية، وتنس، حتى وصل إلى تلمسان، وأمام هذه الانتصارات المتوالية **لعروج** شعر الإسبان بالخطر فأرسلوا حملة عسكرية من وهران فقطعوا الطريق بينه وبين قواته في الجزائر كما نجحوا في إثارة أهالي تلمسان ضده وحاصروه قرب الوادي المالح واستشهد **عروج** سنة 1518م عن عمر يناهز 44 سنة بعد مسيرة حافلة بالجهاد في سبيل الله (شوقي عطا الله ، 1977، الصفحات 96-97)

2– الجزائر إيالة عثمانية

استلم خير الدين القيادة في الجزائر بعد استشهاد أخيه عروج، غير أن الأمور استعصت عليه فكثر المتآمرون وأعلنت القبائل المؤيدة لعروج عصيانها وتمردها على القائد الجديد، هذه الوضعية الجديدة أراد الإسبان استغلالها وباشروا بالتحرك لطرد الأتراك من البلاد. أدرك خير الدين أنه لا يستطيع مواجهة الأعداء بمفرده لهذا وجب عليه إيجاد دولة قوية يستند عليها، (احمد سالم ، 2011، صفحة 93) فجمع أعيان الجزائر من العلماء والصلحاء وقال لهم: " إني عزمت على السفر إلى حضرة السلطان وقد آمنت الأن على بلادكم بما أخلفه عندكم من العسكر المجاهدين وقد وصل اليكم من أهل الأندلس عدد كثير وعندكم من السلاح والعدة ما تقومون به بأمر الجهاد، وعدوكم الكافر قد نكبه الله تعالى ورده على اعقابه مذموما مدحورا فلا مطمع له في غزو بلادكم مرة أخرى، واني لما قدمت اليكم لم يكن عندكم مدفع واحد والأن قد تحصل بأيديكم مما قد خلفه العدو أكثر من اربعمائة مدفع فاختاروا واحدا منكم يكن من خياركم تقدمونه عليكم " فقالوا له: " أيها الأمير لا تطيب أنفسنا بفراقك ولا نسمح لك بذلك فالله الله في أمة سيدنا محمد صلى الله عليه وسلم فان الله يسألك يوم القيامة عنهم " (مؤلف مجهول، 2009، صفحة 103) عند ذلك أجابهم خير الدين: " أنتم رأيتم ما وقع من الملاعين الكافرين ولا يؤمن من عواملهم، وقد ظهر لي من الرأي ان نصل يدنا بطاعة السلطان الأعظم، مولانا **السلطان سليم،** فيمدنا بالمال والرجال وجميع ما نحتاج اليه من ألة الجهاد، ولا يكون ذلك إلا بصرف الخطبة اليه وضرب السكة عليه " (محمد ب.، 2017، صفحة 107)

وهكذا اشترط خير الدين على الجزائريين مقابل البقاء بينهم أميرا للجهاد، الانضمام إلى مجموعة البلاد التي تؤلف الإمبراطورية العثمانية، والتي رفعت لواء الجهاد ضد النصارى، كون المعارك التي كانت قائمة إنما هي بين المسلمين والمسيحيين، ولا يكون ذلك إلا بتقديم طلب للسلطان العثماني الذي أصبح خليفة للمسلمين، إضافة إلى ذلك أن يتنازل له جميع الأمراء في البلاد لتكوين دولة مركزية قوية عاصمتها الجزائر، ويكون جميع سكانها من حدود تونس إلى تخوم المغرب الأقصى خاضعين لها، ملتفين حولها. (أحمد توفيق ا.، 1974، صفحة 7)

فوافق سكان الجزائر على طلب خير الدين وأرسلوا الى السلطان سليم الأول يطلبون منه الدخول تحت لواء الدولة العثمانية. قبل السلطان طلب أعيان وعلماء ومشايخ الجزائر وكتب فرمانا يقضي بتعيين خير الدين بربروس حاكما على الجزائر وزوده بألفي جندي إنكشاري وأربعة آلاف متطوع بالإضافة إلى الأسلحة والذخيرة. وهكذا أصبحت

الجزائر منذ تاريخ 1519م إيالة عثمانية ومركزا للجهاد البحري في الحوض الغربي للمتوسط. (جمال.، 1987، الصفحات 52-53) وبفضل الدعم العثماني تحول خير الدين من مجرد أمير بحر إلى رئيس دولة مرتبطة بالإمبراطورية العثمانية الإسلامية ومتحالفة معها في وجه الحروب الصليبية المسيحية التي تتزعمها إسبانيا، ونتيجة لهذا التحالف سيتغير المشهد السياسي للحوض الغربي للمتوسط وستصبح الجزائر سيدة البحر الأبيض المتوسط بدون منازع. (عمار ، 1997، صفحة 54)

3_ البعد الجهادي لنشاط البحرية الجزائرية

كان الاهتمام الأساسي للسلطة العثمانية التي تأسست في الجزائر مطلع القرن السادس عشر ميلادي، هو تحرير الأراضي الإسلامية من أيدي النصارى الإسبان، الذين استغلوا حالة الضعف والتفكك الذي تعيشه المنطقة

واستولوا على أغلب المدن الساحلية على أمل اخضاع المناطق الداخلية (Moulay , 1996, p. 15) لهذا نجد أن الجزائر في تلك الفترة أطلق عليها عدة أسماء ترتبط أساسا بالجهاد في سبيل الله، مثل "**دار الجهاد**"، "**جزائر المغازي**" و"**جزائر الانتصارات والحملات ضد الكفار**" وكان رياس البحر الجزائريين معتبرين كمجاهدين في سبيل الله، ومن سقط منهم قتيلا في ميدان المعركة صنف من الشهداء الذين وعدهم الله بجنات النعيم. (المنور، 2009، صفحة 45)

وبعد انضمام الجزائر الى الخلافة العثمانية الإسلامية عمدت إلى إرساء أسس الدولة الجزائرية الحديثة، بفضل بعض القادة المتميزين، الذين كان لهم الفضل الكبير في تحرير سواحل البلاد من الغزاة المحتلين. (شوادر و صحراوي ، 2018، صفحة 126) ولتكتمل سيادة الجزائر وهيبتها عملت على تشكيل بحرية قوية أخذت نهج الجهاد البحري الذي تبناه العثمانيين في خضم السياق العسكري، ضد التحالف المسيحي في البحر الأبيض المتوسط، خاصة بعد أن أقدمت إسبانيا على طرد مسلمي الأندلس. فكان الجهاد البحري أسلوبا مشروعا للانتقام من الإسبان وحلفائهم، في الوقت الذي تبنى فيه المسيحيون القرصنة وأضفوا عليها الصفة الشرعية واعتمدوها أسلوبا حربيا لمواجهة العثمانيين، فلعبت الملاحة الجزائرية دورا هاما في العهد العثماني، حيث أبدى الجزائريون مهارة عظيمة في الملاحة حتى أصبحوا لا يغلبهم أحد في حروب البحر واتخذوا لهم الموانئ الأحسن مناعة في الساحل الجزائري والتونسي، وأخذوا يغيرون على البلاد المسيحية. (عائشة ج.، 2017-2018، صفحة 124)

ولم يكن الجهاد البحري الجزائري منذ نشأته في الحوض الغربي للمتوسط يهدف إلى السلب والنهب والاعتداء على الممتلكات، بقدر ما كان رد فعل طبيعي على ما قام به القراصنة المسيحيين، الذين مارسوا اللصوصية البحرية في الشواطئ الإسلامية تحت غطاء الاستمرار في خدمة الصليب، وكان الهدف الأساسي للجزائريين هو الجهاد في سبيل الله والدفاع عن وطنهم. أما العمليات الحربية فلم تكن الغاية منها الحصول على الغنائم فقط، بل كانت موجهة ضد الأساطيل الأوربية التي تعتدي عليهم وتستولي على سفنهم. (فاطة الزهراء، 2011، صفحة 124)

ويأتي تبني الجهاد البحري للدولة العثمانية ومن ورائها الجزائر، نتيجة حتمية للصراع الذي ربطهما مع العالم المسيحي الذي توحد ضدهما في الحوض الغربي للمتوسط، خاصة بعد طرد المسلمين من الأندلس، فأصبح غزو السواحل الغربية واجب ديني ومشروع، كما كان للجهاد البحري الجزائري في بلاد المغرب الأثر الكبير في الحد من المد التوسعي للنفوذ المسيحي في البلاد، إضافة الى الدور الكبير الذي لعبته في تحرير الكثير من القواعد الإسلامية في المغرب عامة. حتى أصبحت البحرية الجزائرية بمثابة شوكة في حلق المسيحية، والكنيسة الكاثوليكية بالتحديد، التي جاءت لطمس الحقيقة وراء نشاط البحري الجزائرية، ووصفها باللصوصية والبربرية. وعلى هذا يمكن القول أن العامل الديني كان له الأثر البالغ في تحريك الصراع بين ضفتي البحر الابيض المتوسط. (محمد الامين، 2011-2012، الصفحات 55-57)

وفي هذا الصدد يذكر **جون وولف** في كتابه الجزائر وأوربا كيف ساهم العامل الديني في تأجيج الحقد الصليبي على المسلمين حيث كان فرسان القديس يوحنا بمالطا، يعترضون التجار الخواص العاملين بموانئ إيطاليا و صقلية وغيرها من الجزر في غربي البحر المتوسط، واستمرارهم في التعرض للحجيج، المتوجهين للحرمين الشريفين مكة والمدينة، وكذا المسافرين الأبرياء. كما أن فرسان القديس ستيفاني كان لهم دورهم كذلك في النزاع مع الدولة الإسلامية، حيث كانوا يعتقدون أن هذه الحرب تجلب لهم الثروة والغفران، وعمل رياس البحر الجزائريون كذلك على شن حربا بلا هوادة على التجار والسواحل الإسبانية والإيطالية و البرتغالية. ويعبر **جون وولف** عن ذلك بقوله :" لقد كان الأمر بالنسبة للطرفين المسيحي والإسلامي، أمر جهاد وحرب مقدسة". (جون، 2002، صفحة 239)

المطلب الثالث: البحرية الجزائرية وحركتها الجهادية

1ـ البحرية الجزائرية في مواجهة الهجمات الصليبية

شهدت الجزائر خلال العهد العثماني العديد من التحرشات والحملات العسكرية البحرية، قادتها مختلف الدول الأوروبية في فترات مختلفة ومتباينة تحت تأثير عوامل دينية وسياسية واقتصادية، بغرض تحقيق أهداف استعمارية استيطانية توسعية ومما لا شك فيه أن هذه الحملات كانت تهدف إلى تحطيم القدرات الدفاعية للإيالة الجزائرية ثم إخضاعها واحتلالها، إلا أن الجزائر تمكنت من صد تلك الهجمات وأرغمتها على التقهقر والتراجع، بفضل قوة جهازها العسكري وفعالية أسطولها البحري، حيث امتلكت قوة بحرية رادعة سيطرت بموجبها على الحوض الغربي للبحر الأبيض المتوسط، وتمكنت بفضلها من فرض سيادتها على الساحة الدولية، وأجبرت الدول الأوروبية على الخضوع لإرادتها ودفعتها للاعتراف بالدور المحوري والريادي الذي تمارسه في حوض البحر الأبيض المتوسط. (مبارك، 2014-2015، صفحة 08)

1 – 1 طبيعة الهجمات الأوربية على الجزائر ودوافعها

تميزت الهجومات والغارات الأوربية على الجزائر بالشراسة والتوحش وتخريب للعمران وإتلاف للأملاك وسلب للأموال وقتل للبشر واسترقاقهم، لأنها تدخل في إطار إحياء الحروب الصليبية التي فشلت في المشرق الإسلامي

خلال القرنين 11 و12م. كما تدخل هذه الحملات في إطار القرصنة البحرية التي باركتها الحكومات الأوربية واتخذتها كمصدر للكسب ووسيلة لتحطيم قوة المسلمين وتمهيد الطريق لاستعمار بلدانهم.

ومن ضمن أهم أسباب ودوافع هذه الاعتداءات الأوربية على بلدان المغرب الإسلامي نذكر:

- رغبة الدول الأوربية في مد نفوذها إلى المغرب الإسلامي في إطار التوسع الاستعمارية.
- الحقد الديني الموروث عن الحروب الصليبية ضد الشعوب الإسلامية والرغبة في الانتقام منها.
- الرغبة في نشر المسيحية ومحاولة القضاء على الدين الإسلامي في عقر داره.
- السعي الى احتلال مواقع استراتيجية لاتخاذها نقطة انطلاق للتوسع الاستعماري داخل البلاد واستغلالها اقتصاديا وبشريا. (يحى، 2009، الصفحات 09-10)

كل هذه الأسباب وغيرها جعلت الدول الأوربية تتكالب على بلدان المغرب عموما وعلى الجزائر بالخصوص. فشنت حملات عسكرية ضخمة وعديدة سواء كل دولة على حدى أو مشتركة فيما بينها. ومن بين هذه الحملات نذكر على سبيل المثال لا الحصر:

- حملة دييقو دوفيرا على مدينة الجزائر 1516م
- حملة دون هوجود ومونكادو على مدينة الجزائر 1519 (يحى، 2009، صفحة 17)
- حملة أندري دوريا على مدينة شرشال (عزيز سامح، 1989، صفحة 94)
- حملة شاركان الكبرى والفاشلة على مدينة الجزائر 1541م والتي شاركت فيها الكنيسة الكاثوليكية، حيث

منح البابا نصف مداخيل الكنيسة للإمبراطورية لأجل تجهيز الحملة العسكرية، وشارك في هذه الحملة، الألمان والإيطاليين والإسبان بالإضافة إلى فرسان مالطا ومتطوعين من أجناس متفرقة. (صالح ، 2012، صفحة 65)

- حملة البابا بيوس الرابع الصليبية ضد طرابلس وجربة والجزائر، عامي 1559 و1560م والتي اشترك فيها فرسان مالطا ونائب ملك نابولي وقادها نائب ملك صقلية الدوق دومدينا
- الحملة الصليبية الضخمة ضد الجزائر عام 1601م والتي اشتركت فيها قوات: البابا، وجنوة، ونابولي،

والطوسكان، وصقلية، وسردينيا، وبارما، ومودينا، وقادها الايطالي جان اندري دوريا حفيد الاميرال المشهور اندري دوريا. (يحى، 2009، صفحة 17)

- حملة دوكين الأولى والثانية على المدينة الجزائر سنة 1682م و1683 (محمد ب.، 2011-2012، الصفحات 67-68)
- حملات الدانماركيين ضد مدينة الجزائر سنة 1770م.
- حملة الضابط أورلي الأيرلندي حاكم مدينة مدريد ضد الجزائر 1775م.
- حملات دون انجيلو دوبارسيلو ضد الجزائر عامي 1873 و1784م بأمر من ملك إسبانيا شارل الثالث
- حملة اللورد إكسموث الإنكليزي على مدينة الجزائر 1816م (يحى، 2009، صفحة 18)

رغم كل هذه الهجمات والحملات العسكرية الضخمة وغيرها، إلا أن الجزائر نجحت في صد العدوان الخارجي، بفضل كفاءة رياس البحر الجزائريين والدور الذي قاموا به في رد العدوان واسترجاع معظم المراكز المحتلة

على الساحل، فاكتسبت الجزائر بذلك مكانة خاصة جعلتها بمثابة القلعة الأمامية في مواجهة المد الصليبي فاستحقت بذلك تسمية دار الجهاد الصامدة في وجه القوة المسيحية المعادية حسب تعبير أغلب من كتبوا في تلك الفترة (Moulay , 1996, p. 05)

2_ البحرية الجزائرية والمساهمة في تحرير البلاد الإسلامية

2-1 تحرير طرابلس من فرسان مالطا 1551م

تزامن الوجود العثماني بالجزائر مع احتلال الاسبان لطرابلس الغرب سنة 1510م واستمروا بها حتى عام 1535م حينما صدر القرار الإمبراطوري **لشاركان** القاضي بتقديمها هدية لفرسان القديس يوحنا، الذين عاثوا في الارض فسادا، فكثرت المظالم في البلاد، ما دفع بالأهالي الى طلب العون من السلطة العثمانية في إستانبول. فأرسلوا وفدا لطلب المساعدة من السلطان العثماني سليمان القانوني. (محمود و محمد، 1999-2000، صفحة 158) الذي لبى النداء وأرسل أسطولا بحريا من مئة وخمسين سفينة تحمل اثنا عشر ألف جندي من الانكشارية وخمسة الاف محارب وستمئة فارس، تحت قيادة القائد التركي الكبير سنان باشا ومعه طورغوت باشا، (محمد عمر، 1952، صفحة 126) بالإضافة إلى الأسطول الجزائري الذي كان تحت قياد صالح رايس بايلرباي الجزائر. وعندما وصل الأسطول إلى طرابلس حاصر المدينة لمدة عشرة أيام، كانت كافية لطرد الفرسان منها وتحريرها. وتم تعيين مراد آغا واليا عليها، وبذلك أصبحت طرابلس منذ عام 1551م إيالة عثمانية، تدير شؤونها الجزائر. ما يبرز لنا المكانة والأهمية التي كانت تتمتع بها الجزائر بالنسبة للعثمانيين. (زهيرة ، 2014-2015، صفحة 141)

2-2 مساهمة البحرية الجزائرية في نصرة الموركسيين 1568م

كانت حركة الجهاد الإسلامي في شمال إفريقيا قد شجعت مسلمي الأندلس وجعلتهم يتغلبون على خوفهم الذي لازمهم منذ أن سقطت غرناطة آخر معاقلهم هناك، خاصة مع موجهة الظلم والإرهاب والفضائع التي مورست ضدهم من قبل الصليبيين، فبعد أن مارست إسبانيا كل الوسائل للقضاء على الهوية الإسلامية لمسلمي الأندلس وتحويلهم إلى المسيحية، لجأوا إلى العنف بكل أنواعه فحرموا المسلمين من التحدث بالعربية والاتصال بمسلمي شمال إفريقيا، كما حرموا النساء من الخروج الى الشارع محجبات، كل هذا قاد مسلمي الأندلس إلى تفجير ثورة والقيام بحرب تعد أهم الحروب التي قادها مسلمي الأندلس بعد سقوط غرناطة 1492م. (علي محمد م.، 2001، صفحة 254) ولعلم مسلمي الأندلس بضعف كفتهم أمام الجيوش الإسبانية، سارعوا لطلب العون

والمدد من حاكم الجزائر **علج علي**، وشرحوا له الوضعية البائسة التي يعيشونها، فسارع **علج علي** لنصرة مجاهدي الاندلس في ثورتهم ضد إسبانيا، وجمع كميات كبيرة من الأسلحة لتدعيمهم، وكان هذا بدعم من الأهالي الجزائريين، كما اتفق علج علي مع مسلمي الاندلس على وقت اندلا ع ثورتهم. وبهدف تشتيت انتباه الاسبان قرر علج القيام بحملة عسكرية لتحرير مدينة وهران، ثم التوجه بعدها إلى السواحل الإسبانية حيث تمت عملية الإنزال، وفق الخطة التي رسمها مع مسلمي الأندلس، كما أرسل اربعين سفينة نحو إسبانيا. وصلت يوم الأربعاء المقدس لدى المسيحيين، لكن خطأ ارتكبه أحد قادة الثورة كان سببا في اكتشاف إسبانيا لهذه الحملة، فضاعت فرصة مفاجأة القوات الإسبانية. (الشافعي ، 2020، صفحة 13)

لكن ذلك لم يحبط من عزيمة **علج علي**، ففي جانفي 1569م توجهت ست سفن جزائرية محملة بالمدافع والذخيرة والأسلحة ومؤن الجند إلى السواحل الإسبانية لدعم الثورة، وفي الوقت الذي كانت فيه الثورة في أوجها تم إرسال 4000 جندي انكشاري ومعهم مجموعة من خيرة الإنكشاريين القدامى لتأطيرهم، كما تم إرسال نجدات أخرى مع بداية 1570م وكان علي علي مستعد بالتوجه بنفسه إلى اسبانيا، لكن استعدادات دون خوان النمساوي لمعركة **ليبانت** منعه من ذلك. (نجيب ، 2001-2002، صفحة 132) وخوفا من إمكانية تدخل الأسطول العثماني، بالإضافة إلى الدعم الجزائري، قررت إسبانيا تصفية هذه الثورة في أقرب وقت ممكن وهو ما حدث في 28 أكتوبر 1570م. (الشافعي ، 2020، صفحة 14)

وهكذا انهارت آخر الآمال في إنقاض البقية الباقية من الإسلام في بلاد الاندلس، رغم أن الجزائر لم تبخل عليهم بأي مساعدات منذ عروج ثم خير الدين وصولا إلى علج علي، حيث كان إنقاض الأندلس هدفا من أعظم أهدافهم، لكن الظروف لم تكن مواتية لتحقيق هذا الهدف النبيل. (احمد توفيق ا.، صفحة 396)

2-3 دور البحرية الجزائرية في تحرير تونس 1574م

منذ مطلع القرن السادس عشر تحولت تونس إلى منطقة صراع استمر ما يقارب نصف قرن (1534-1574)، بين الدولة العثمانية الرافعة للواء الجهاد في سبيل الله، وإسبانيا التي كانت تمثل عز الصليبية في تلك المرحلة. (نعيمة، 2015، صفحة 128) فقد مثلت إلى جانب صقلية ومالطا ونابولي الحدود الفاصلة بين النفوذ الإسباني في الحوض الغربي للمتوسط، عن شرقه الواقع تحت النفوذ العثماني. وقد قام الجزائريون بعدة محاولات لتحرير تونس من الهيمنة الإسبانية، فكانت أولى المحاولات سنة 1534م بقيادة خير الدين، أما المحاولة الثانية

فكانت عام 1569م حين لبى **علج علي** نداء أهالي تونس الراغبين في التخلص من حاكمهم **أبو العباس احمد** الموالي للإسبان فاستطاع أن يفتكها من الإسبان ويضمها للدولة العثمانية من جديد. (الشافعي ، 2020، صفحة 15) وبقيت كذلك حتى عام 1573م حين استطاع الدون النمساوي جوان احتلالها من جديد. فانطلقت الاستعدادات من جديد لاستعادتها وكانت المساهمة الجزائرية في هذا الحدث برية وبحرية حيث طلب السلطان 1095 فارس و1000 إنكشاري بالإضافية إلى أمير لواء قسنطينة بكامل العدد والعدة، كما طلب من أمير كوكو المؤونة والذخيرة للجنود وتجهيز جيش للالتحاق بيهم (نعيمة، 2015، صفحة 130)

وفي 13 جويلية بدأ حصار حلق الواد ثم حصار حصن البستيون ودرات معارك طاحنة بين الطرفين، حيث أمطر العثمانيون العدو بوابل من ألواح الخشب المشتعلة، قتل خلالها آلاف الجنود الاسبان والايطاليين، الى أن انهارت أبراج الحصن وبعدها شرع الجيش العثماني بالهجوم الحاسم نتج عنه السيطرة التامة على القلعة. وحسب المصادر العثمانية والتونسية سقط في معارك تحرير تونس وحلق الوادي قرابة عشرة آلاف من المسلمين، ومع ذلك اثار تحرير تونس موجهة من الفرح والانتهاج في جميع أنحاء العالم الإسلامي. (نيقولاي ، 1988، صفحة 255)

أما من الجانب الإسباني فقد قتل معظم الجنود الإسبان وأسر قائد الحصن و300 إسباني، كما اعتقل الحسن الحفصي وقتل أغلب الجنود الإسبان الذي كان عددهم حوالي 18 ألف رجل. (يحى، 2009، صفحة 54)

3_ مشاركة البحرية الجزائرية في الحروب العثمانية

بعد انضمام الجزائر للدولة العثمانية مطلع القرن السادس عشر ميلادي، برزت كقوة بحرية وطرف فعال في الصراع الذي دار بين القوتين المهيمنتين في تلك الفترة، الدولة العثمانية الرافعة للواء الجهاد الإسلامي من جهة، وإسبانيا حاملة الراية الصليبية من جهة أخرى، وبحكم تبيعة الجزائر للخلافة الإسلامية كان لزاما عليها دعمها ومساندتها في حروبها التي شنتها ضد العدو في إطار نشر الدين الإسلامي وكذا تحرير البلاد الإسلامية من الاحتلال الصليبي. (زهيرة ، 2014-2015، صفحة 01)

3-1 دور البحرية الجزائرية في معركة بريفيزا 1538م

شكلت الدول الأوربية الصليبية حلفا مقدسا لضرب الدول العثمانية، ضم كل من إسبانيا، البابوية، البندقية، فرسان مالطة، وكان ذلك في فيفري 1538م ضم الأسطول المسيحي مائتي سفينة على متنها أكثر من ستين ألف رجل بقيادة **اندريا دوريا**، بينما تكون الأسطول العثماني من مائة وثلاثون سفينة على متنها ثلاثون

ألف رجل قاده خير الدين بربروسا. (الشافعي ، 2020، صفحة 10) وهذا فقد شهدت سنة 1538م احتشاد أكبر أسطول بحري في البحر الأبيض المتوسط لم يعرف تاريخ الحروب البحرية له مثيلا منذ معركة اكسيوم التي قادها ولي عهد إمبراطورية روما اوكتافيانوس ماركوس انتونيوس ضد أسطول كليوبتران والتي وقعت في سواحل اليونان سنة 31 قبل الميلاد. (محمد د.، 2012، صفحة 300) انتهت المواجهة بهزيمة الحلف الأوربي، وتصدع هذا التحالف بعد انسحاب جمهورية البندقية، التي وقعت معاهدة صلح مع الدولة العثمانية سنة 1538م. (الشافعي ، 2020، صفحة 10) وبذلك انتهت هذه المعركة بكارثة حلت بالتحالف الأوربي الصليبي (سعد، 2013، صفحة 779)

3-2 مشاركة البحرية الجزائرية في حصار مالطا 1565م

شكل فرسان القديس يوحنا في مالكا تنظيما عسكريا ودينيا متطرفا يستمد قوته من الدعم اللامشروط الذي تقدمه له الدول المسيحية، فاصبحوا بذلك يشكلون خطرا على العالم الإسلامي، خاصة وأنها كانت تقع بين حوض البحر الأبيض المتوسط الغربي والشرقي وعلى مسافة قريبة من إفريقيا وأوربا، هذا الموقع الاستراتيجي المهم أهلها لتكون شوكة في حلق المسلمين، فقد كانوا يطاردوا كل من يمر أمامهم بحيث أصبحت طريق الحج غير آمنة وكادت المبادلات التجارية تنقطع بين البلاد الإسلامية. (نعيمة، 2015، صفحة 123)

لهذا قرر السلطان العثماني فتح مالطا وطرد فرسان القديس يوحنا، فبعث إلى كل قادة الإيالات العثمانية، يدعوهم لتشكيل حملة ضد مالطا، وكان من بينهم حسن باشا بن خيرالدين حاكم الجزائر، الذي جهز أسطولا بحريا مكون من أربعين سفينة حربية، على متنها آلاف الجنود من خيرة المقاتلين. (المنور، 2009، صفحة 137)

أبلى حسن باشا البلاء الحسن في هذه المعركة فقد قاد كل الهجومات الخطيرة، وألحق جيشه خسائر كبيرة في صفوف العدو، غير أن طول مدة الحصار ونفاذ الذخيرة والمؤونة أدى إلى فشل الحملة، لكن رغم ذلك كافأ السلطان العثماني سليم الثاني حسن باشا بتعيينه أميرالا للبحرية العثمانية سنة 1567م نظير المجهودات التي بذلها في هذه المعركة. (الشافعي ، 2020، صفحة 12)

3-3 دور البحرية الجزائرية في معركة ليبانت 1571م

تعتبر معركة ليبانت من مظاهر العداء بين الدولة العثمانية وإسبانيا، حيث قررت إسبانيا نقل الصراع بعيدا عن سواحلها، وإشعال النزعة الصليبية الاوربية لمواجهة التوسع الإسلامي، وتعد هذه المعركة من أهم المعركة التي جرت بين المسلمين والصليبيين في البحر الأبيض للمتوسط. (حنيفي و بوجلال، 2017)

وتكللت مساعي إسباني بالنجاح، حيث تمكن البابا **بيوس الخامس** من توحيد الدول المسيحية من أجل القيام بعمل عسكري موحد لمواجهة الدولة العثمانية، فتم توقيع الحلف المقدس في 25 ماس من سنة 1570م وتم تعيين **دون جوان** النمساوي قائد لقوات التحالف الأوربي، ولما علم السلطان العثماني بهذه التحركات الأوربية، أرسل رسالة إلى **علج علي** بايلرباي الجزائر يدعوه فيها إلى الالتحاق بالجيش العثماني لمواجهة هذا التحالف الأوربي. (الشافعي ، 2020، صفحة 14)

وتلبية للنداء خرج علج علي في ربيع 1571م على رأس أسطول بحري مكون من عشرين سفينة وثلاثين من رياس البحر التابعين له، وشرع في الاستيلاء على السفن المعادية وكان مسرح عملياته في الجزر الأيونية والبحر الأدرياتيك. دخل الأسطول المتحالف خليج ليبانت في 7 أكتوبر 1571م حيث وجد الأسطول العثماني في انتظاره، فاصطفت السفن المسيحية وعند بداية المعركة شرعت السفن الضخمة للأسطول المسيحي في قذف نيرانها على السفن العثمانية ما تسبب في أضرار بالغة على سفن القيادة التابعة للأسطول العثماني. (نعيمة، 2015، صفحة 125) وبعد ساعات قليلة من بداية المعركة هزمت ميمنة الأسطول الإسلامي، وقتل قائده **علي باشا**، أما **علج علي** قائد الأسطول الجزائري الذي كان في ميسرة الأسطول فقد حقق انتصارات هامة على القوات المسيحية، حيث استولى على عشر سفن منها واحدة تحمل قيادة قوات مالطة وقتل ما يقرب من خمسمائة جندي، وتولى علج علي قيادة الأسطول الإسلامي بعد مقتل علي باشا، وحاول المقاومة لكن الخسائر كانت كبيرة وضخمة فقد اغرق الأوربيون 94 سفينة واستولوا على 130 سفينة أخرى. (زهيرة ، 2014-2015، صفحة 144)

لقد كان الأسطول الجزائري هو الوحيد الذي نجا من هذه الهزيمة، **وعلج علي** هو القائد الوحيد الذي ظهر كقائد كفئ يملك خبرة قتالية عالية. وعندما عاد إلى إستانبول استقبل استقبال الأبطال المنتصرين، وعينه السلطان

العثماني **سليم الثاني** في منصب قابودان باشا، مع احتفاظه بمنصب بايلرباي الجزائر (الشافعي ، 2020، صفحة 15)

إن الدارس لتاريخ الجزائر خلال العهد العثماني يقف على حجم التظليل والتشويه الذي أقترن بنشاط البحرية الجزائرية بهتانا وزورا، رغم أن الجزائر كانت في حرب طويلة الأمد لأزيد من ثلاث قرون، فكانت لا تكاد تنطفأ معركة حتى تتجدد معركة أخرى أشد عنف وشراسة من سابقتها، وقد اشتركت في هذه الحروب الطويلة أغلب الدول الأوربية الصليبية، بداية بإسبانيا التي تزعمت موجة العدوان ضد الجزائر ليأتي الدور على الدول الأوربية الآخرة التي ساهمت في هذه الحروب الشاملة والتي حاولوا من خلالها كسر شوكة البحرية الجزائرية. لكن ورغم كل هذا العدوان بقيت الجزائر صامدة ومدافعة عن الإسلام والمسلمين. (بسام، 1980، صفحة 185)

المبحث الثاني: نقد وتحليل هذه الأطروحة

المطلب الأول: تحول مهام البحرية الجزائرية من الجهاد إلى الغزو البحري (1577–1711) م

المطلب الثاني: البحرية الجزائرية وتثيرها الدبلوماسي (1711–1830) م

المبحث الثاني: نقد وتحليل هذه الأطروحة

المطلب الأول: تطور مهام البحرية الجزائرية من الجهاد إلى الغزو البحري (1577-1711) م

كان نشاط البحرية الجزائرية منحصرا في عمليات الجهاد البحري، في ظل الصراع الذي كان قائما بين الهلال والصليب، لكن ومع مرور الوقت شهد نشاط البحرية الجزائرية إتساع وازدهار، حيث تطورت القرصنة في إيالة الجزائر لتصبح النشاط الأساسي والمحوري، نظرا للأهمية التي كانت تمثلها في الحياة الإقتصادية، ونمت حولها فئة إجتماعية تميزت بنفوذها القوي ركزت خطابها العام على أمجاد الجهاد ضد الكفار، (المنور، 2009، صفحة 200) وبعد أن تمكنت الدولة العثمانية من تحرير تونس سنة 1574م وانتزاعها من أيدي الإسبان، طوي الصراع الذي كان محتدم بين الإمبراطورية الإسبانية المتعصبة للروح الصليبية وبين الخلافة العثمانية الرافعة لراية الجهاد في سبيل الله. فكان هذا التحرير آخر عملية كبرى يقوم بها الأسطول العثماني في الأقطار المغاربية. أما من جهة إسبانيا فقد قررت تحويل أنظارها إلى آفاق أخرى، ونتيجة لهذه الظروف طلبت إسبانيا من الدولة العثمانية إبرام اتفاق هدنة تكلل بتوقيع معاهدة سلام بين الطرفين سنة 1577م لوضع حد للحرب الضروس التي كانت قائمة بينهم والتي كلفت الطرفين خسائر باهظة في الرجال والعتاد. (حمزة إسحاق، 2018، صفحة 123)، ليفسح المجال للطابع الاقتصادي، الذي طغى على جل العمليات الحربية، حيث أصبحت القرصنة والنشاط الاقتصادي مترابطان، يغذي أحدهما الأخر، فعندما تزدهر القرصنة يستفيد الاقتصاد الجزائري وتنشط حلقة المبادلات التجارية. (كورين، 2007، صفحة 49)

إن هذا التحول في مهام البحرية الجزائرية من الجهاد البحري إلى الغزو البحري لم يكن بين عشية وضحاها، بل كان هناك تطور وتحول تدريجي بدأ بنهاية الحرب الدينية الكبرى التي خاضتها الخلافة العثمانية في الحوض الغربي للمتوسط والتي كانت مدعمة من طرف حكام الجزائر ضد أوربا المسيحية، وبالتالي لم يعد نشاط البحرية الجزائرية مقتصرا على الجهاد البحري، بقدر ما كان يهدف إلى تفعيل الاقتصاد الوطني خاصة مع انضمام عناصر جديدة إلى البحرية الجزائرية، أدخلوا معهم تكتيكات حربية جديدة ساهمت في اجتياز البحر المتوسط ودخول المحيط، الذي كان ينبض بالحياة نتيجة انتعاش الملاحة البحرية. وهكذا تحول النشاط البحري الجزائري من الجهاد إلى الغزو البحري فغدت بذلك القرصنة الجزائرية تتمحور حول فكرة الغنائم الثمينة، وغابت معها فكرة الحرب من أجل الجهاد في سبيل الله ونصرة الإسلام والمسمين. (حمزة اسحاق، 2011-2012، صفحة 30)

وإتخذت القرصنة الجزائرية في هذه الفترة طابع المؤسسة الخاصة، التي تهدف أساسا إلى الربح، وتجلى هذا بصورة شديدة الوضوح، وكانت ملكية السفن القرصانية تعود إلى كبار القراصنة أو الحكام أو لشركات ذات أسهم يتم توزيع الغنائم فيها حسب قواعد يتم الإتفاق عليها. فيأخذ أرباب السفن نصف مدخول القرصنة حسب الأسهم التي يملكونها، أما النصف الثاني فيتم إقتسامه على مجموع البحارة والمقاتلين، وكان عدد الأسهم محددا بدقة من أصغر بحار إلى رايس السفينة. وبقي هذا التقليد معمولا به تقريبا طيلة الثلاث قرون. (المنور، 2009، صفحة 201) كما للدولة دور في هذه العملية القرصانية، حيث كانت تزود سفن القرصنة بالمؤونة، و في مقابل هذه المساهمة تأخذ نصيب من الغنائم يتناسب مع مساهمتها، إضافة إلى الخمس الذي كانت تأخذه من الغنائم (المنور، 2009، صفحة 202)

كما كان للعلوج الذي اعتنقوا الإسلام مكانة راقية في البحرية الجزائرية، ومعظمهم إعتنق الإسلام طمعا في الاستفادة من مغانم القرصنة، بدلا من أن يبقى أسيرا طوال حياته يعمل في التجديف أو في خدمة بيوت الأتراك أو بعض وجهاء القوم. أي تغلب العامل المادي على العامل الديني، حيث أن جل اهتمامهم كان منصب على الغنائم التي يغنمونها، لا على الجهاد في سبيل الله، وقد ارتفع عدد العلوج في الجزائر أواخر القرن السادس عشر ميلادي بصورة خاصة. إن التسهيلات المتوفرة لنشاط القرصنة في الجزائر إضافة الى شهرة الجزائر وهيبتها البحرية أدى الى هذا التزايد الكبير لعدد العلوج في الأسطول البحري الجزائري، وساهم وبشكل واضح في تطوير سلوك طائفة رياس البحر وتغيير في أهداف القرصنة التي تحولت أكثر فأكثر من الجهاد إلى النهب. (محمد خ.، 1979، صفحة 94) ومن جهة أخرى لم يكن هؤلاء العلوج الحديثي عهد بالإسلام يكنون الولاء للسلطان العثماني، كما كان أسلافهم، الأمر تسبب في إضعاف الارتباط بين الجزائر والدولة العثمانية. إضافة إلى أصولهم الاجتماعية التي لعبت دورا هاما في سلوكهم حيث أن أغلب هؤلاء العلوج من طبقات أوربية كانت معادية للإقطاع والملكية المركزية، وكان لذلك أثر هام وتأثير كبير في نشاط هؤلاء القراصنة. (محمد خ.، 1979، صفحة 94)

وقد شهدت البحرية الجزائرية تنوع في قراصنتها حيث ضمت الأتراك والمشارقة والعلوج والأندلسيون، وشكلوا مجتمعين الجزء الرئيسي والأكبر من القراصنة، أما الأهالي فكانوا بأعداد ضئيلة. ولم يمنع هذا التنوع من تشكيل قوة ضغط كبيرة تدافع عن مصالح القرصنة. حيث وفي مرات عديدة كانت الجزائر تميل تحت ضغط الباب العالي أو للمصالح الدبلوماسية إلى إرجاع السفن والأسرى والغنائم إلى الدول المطالبة بها على أساس أن عملية القرصنة كانت غير شرعية، لكن سرعان ما يتراجعون عن قرارهم بسبب الضغط الشعبي عليهم. وكانت قوة

الضغط هذه التي مارسها القراصنة مرتبطة أساسا بالأهمية الاقتصادية والاجتماعية التي كانت تمثلها القرصنة لفئة معتبرة من سكان الجزائر إبتداء بالحمال الذي ينقل البضائع في الميناء إلى الباشا الذي كان له نصيب من الغنائم. (المنور، 2009، صفحة 203)

كما ساهم الاحتكار الذي قامت به السفن التجارية الأوربية في الحوض الغربي للمتوسط على تطور وازدهار القرصنة الجزائرية في محاولة منها للظفر بحصتها من التجارة العالمية، وإعادة توزيع الأرباح التجارية وكسر الحصار الذي فرضته عليها الشركات التجارية الأوربية. (عبد القادر ج.، 1982، صفحة 42)

وقد تطور الأسطول الجزائري في النصف الأول من القرن السابع عشر ليصبح يعادل ثلث أو نصف الأسطول العثماني، بعدما كان يبلغ ما بين خمس وربع مجموع الأسطول العثماني ما يعطينا فكرة واضحة وجلية عن حجم العمليات الحربية التي كان يقوم بها الأسطول الجزائري. ففي هذه الفترة المفصلية اتخذت القرصنة الجزائرية طابع المؤسسة الخاصة التي تهدف إلى الربح والثراء. (المنور، 2009، صفحة 232)

وهكذا لعبت القرصنة الجزائرية في هذه الفترة الدور الفعال في منطقة الحوض الغربي للمتوسط، فقد تركزت هجماتها ضد إسبانيا العدو التقليدي للإسلام، وكانت غاراتها على جزر وسواحل إسبانيا لا تتوقف، رغم الإجراءات الدفاعية التي اتخذتها الحكومة الإسبانية، من أبراج مراقبة ومنظومات دفاعية، لكنها لم تستطع صد هجمات قراصنة الجزائر، حيث أن هذه الغارات المتكررة ساهمت في هجرة السكان للمناطق الساحلية واتجهوا نحو المناطق الداخلية. كما هاجم القراصنة الجزائريون سواحل سردينيا وصقلية ونابولي وهددوا المواصلات البحرية بين الممتلكات الإسبانية والإيطالية لفترة طويلة من الزمن. (محمد خ.، 1979، صفحة 91)

وفي الأخير يمكن القول إنه بعد أن توقفت الحروب الكبرى التي كانت قائمة في الحوض الغربي للمتوسط بين الدولة العثمانية وحلفائها وبين القوى الصليبية، والتي اتسمت بطابع الحرب المقدسة سواء من الجانب الإسلامي، أو من الجانب المسيحي، ومنذ أن استطاعت الدولة العثمانية تحرير تونس من إسبانيا سنة 1574م، وضمها إليها، توجه الجميع بعدها إلى الحروب الصغرى والتي عرفت بحرب المغامرات والتي شكلت القرصنة وجهها الأبرز.

المطلب الثاني: البحرية الجزائرية وتأثيرها الدبلوماسي (1711–1830) م

عرفت هذه المرحلة تحول في مهام البحرية الجزائرية، حيث أصبحت ملكية السفن البحرية تتجه شيئا فشيئا إلى الدولة، وتقلص عالم رياس البحر الذين أصبحوا أكثر فأكثر من الأهالي بعدما كانت مملوكة من طرف الرياس أو الأغنياء أو الذين يملكون أموالا بالمدينة وباعتبارهم منظمة من مالكي السفن بحيث كانوا يستثمرون أموالهم. وهكذا شهد القرن الثامن عشر تغير في ملكية السفن البحرية خاصة بعدما شهدت حكومة الداي أكثر استقرار، فخلال سنة 1717 لم تكن إيالة الجزائر تملك سوى سفينة واحدة من مجموع تسع عشرة سفينة كانت في الخدمة باستثناء السفن الصغيرة ذات المجاديف، ولكن مع نهاية القرن الثامن عشر أصبح الأسطول تقريبا مملوكا للداي ووزراءه بعدما كان تحت سيطرة وزير البحرية. (جون، 2002، صفحة 191)

لقد كان رياس البحر الجزائريون ومن خلال القرصنة البحرية التي كانوا يقومون بها يؤثرون على السياسة الخارجية منذ انضمام الجزائر للدولة العثمانية وحتى بداية القرن الثامن عشر. هذا القرن الذي شهد انتقال الأسطول البحري إلى الملكية العامة، فأصبحت للحكومة الجزائرية الحرية المطلقة في عقد المعاهدات وإقرار السلام مع الدول الأجنبية. (حمزة اسحاق، 2011-2012، صفحة 37)

وهكذا أصبحت الجزائر أكثر انتظاما من السابق تمارس القرصنة مع احترام القواعد الدولية لذلك العصر، كما أنها تخلصت من الضغوطات التي كان يمارسها القراصنة ملاك السفن الحربية عليها لإعلان الحرب ضد الدول الأجنبية سعيا منهم للمصلحة الاقتصادية، كما كان إستقرار الحكم منذ تاريخ 1711م سببا في تبلور البنية الإدارية للدولة، فصارت هي التي تحدد السياسة العامة، ولم يعد للقرصنة ذلك الدور المهم والفعال كما كان في القرن الماضي. (حمزة اسحاق، 2011-2012، صفحة 37) وبذلك أصبح النشاط البحري الجزائري في القرن الثامن عشر ميلادي مجرد أداة دبلوماسية تضمن بها الدولة إحرام الدول الأجنبية للمعاهدات والاتفاقيات التي أبرمتها مع السلطات الجزائرية، وبذلك تحول الجهاد البحري الجزائري إلى مهمة ثانوية للبحرية الجزائرية. (سارة و نجية، 2019-2020، صفحة 49)

هذا التحول في مهام البحرية الجزائرية صاحبه انكماش وضعف، ما أدى إلى تلاشي القوة البحرية لإيالة الجزائر، وذلك نتيجة الجمود الاقتصادي الذي عرفته البلاد إضافة إلى التقدم والتطور الذي شهدته الأساطيل الأوربية، ومما زاد من ضعف البحرية الجزائرية تكرر وتعدد الهجمات الأوربية على المدن الساحلية قصد القضاء على القرصنة

وإطلاق الأسرى وإلغاء الامتيازات، وقد اضطرت الجزائر إلى عقد اتفاقيات مجحفة مع بعض الدول الأوربية، والتزمت بحرية التبادل وضمان سلامة السفن التجارية. (ناصر الدين و المهدي ، 1984، صفحة 45)

لقد أصبح إبرام الاتفاقيات والمعاهدات مع الدول الأوربية والضغط عليها من أجل دفع الإتاوات والهدايا، بمثابة مصدرا آمنا وثابتا يساهم في الدخل المالي للخزينة العمومية، مغطيا بذلك العجز الذي لحق بخزينة الدولة جراء جفاف وتقلص مدخول القرصنة في القرن الثامن عشر. وبذلك بدأت الجزائر تضغط على الدول الأوربية عن طريق بحريتها لدفعها إلى توقيع معاهدات سلام معها حتى ولو تطلب ذلك إلى الارتباط مع كل الدول الأوربية، فبنهاية القرن الثامن عشر وبداية القرن التاسع عشر أصبحت الجزائر تربطها مع معظم الدول الأوربية معاهدات سلم وتجارة حتى مع إسبانيا العدو اللدود وبعض الدويلات الإيطالية التي طالما ربطتها علاقات متوترة مع إيالة الجزائر. (حمزة اسحاق، 2011-2012، صفحة 38)

وعليه فقد تخّلت الجزائر جزئيا عن مبدأ القرصنة البحرية، وتوجهت نحو تأهيل التجارة الخارجية نتيجة استقرار الأوضاع السياسية والعلاقات الدبلوماسية مع الدول البحرية الأوربية، وفي هاته الظروف تحولت البحرية الجزائرية لأداة دبلوماسية سمحت للجزائر بتوفير مدخول مالي نتيجة الإتاوات والهدايا والتجارة وغيرها من الرسوم المرتبطة بالاتفاقيات التجارية البحرية. (حمزة اسحاق، 2011-2012، صفحة 43)

وفي الأخير يمكن الاستنتاج أن هذه المرحلة من تاريخ الجزائر الحديث تميزت بالضغط على الملاحة البحرية الأوربية بغرض دفع الدول الأوربية إلى توقيع المعاهدات والاتفاقيات السلمية والتجارية مع الجزائر لتوفير مدخول مالي يعوض العائدات البحرية الكبيرة التي كانت توفرها القرصنة لخزينة الدولة.

الفصل الثالث: الرؤية التاريخية لنشاط البحرية الجزائرية خلال العهد العثماني

المبحث الأول: الكتابات الغربية ودورها في تشويه صورة البحرية الجزائرية

المطلب الأول: الخطاب الديني المتعصب وأثره في تأجيج الصراع في البحر المتوسط

المطلب الثاني: الدعاية الأوربية ضد الإسلام في الفترة الحديثة

المطلب الثالث: المدرسة الاستعمارية ودورها في تحريف حقيقة نشاط البحرية الجزائرية

المبحث الأول: البعد الاقتصادي لنشاط البحرية

المطلب الأول: الغنائم البحرية للأسطول الجزائري

المطلب الثاني: المدخول المالي للأسرى في الجزائر خلال العهد العثماني

المطلب الثالث: الإتاوات والهدايا الإلزامية

المبحث الأول: الكتابات الغربية ودورها في تشويه صورة البحرية الجزائرية

المطلب الأول: الخطاب الديني المتعصب وأثره في تأجيج الصراع في البحر المتوسط

المطلب الثاني: الدعاية الأوربية ضد الإسلام في الفترة الحديثة

المطلب الثالث: المدرسة الاستعمارية ودورها في تحريف حقيقة نشاط البحرية الجزائرية

المبحث الأول: الكتابات الغربية ودورها في تشويه صورة البحرية الجزائرية

لعبت الكتابات الغربية دور كبير في تشويه صورة الجزائر من خلال إلصاق صفة القرصنة واللصوصية البحرية بنشاط الأسطول الجزائري خلال العهد العثماني، حيث أسهمت المصادر الأجنبية في إعطاء صورة سيئة عن القراصنة البربريين خاصة لدى السكان البسطاء، وهذا ما ظهر جليا في الحملة الفرنسية على الجزائر والتي ضمت متطوعين من مختلف البلدان الأوربية تدفعهم الرغبة في الانتقام ممن عذبوا إخوانهم وأقربائهم.

وتعد المدرسة الفرنسية الاستعمارية هي المسؤول الأول عن هذا التشويه، من خلال زعمها أن الجزائر كان يسكنها برابرة متوحشون، وأن فرنسا ما جاءت إلا لتنشر الحضارة والمدنية بين السكان، لكن الدافع الحقيقي لهذه النظرة الاستعمارية ما هو إلا غطاء أرادوا به تبرير عملية غزو الجزائر.

المطلب الأول: الخطاب الديني المتعصب وأثره في تأجيج الصراع في البحر المتوسط

نشأت فكرة الحروب الدينية في أوروبا منذ العصور الوسطى، فطالما سعت الكنيسة في أوربا إلى حشد الرأي العام وتجهيز الجيوش لغزو الديار الإسلامية، سعيا منها لنشر المسيحية والقضاء على الدين الإسلامي. لكن هذه المساعي فشلت في المشرق الإسلامي، لتتأصل الفكرة من جديد في الفكر الأوربي الحديث، خاصة مع حروب الاسترداد التي تزعمتها الإمبراطورية الإسبانية بدعم من الكنيسة الكاثوليكية بعد سقوط غرناطة آخر معاقل المسلمين في الأندلس. (هنري، جون، و جيل، 2016، صفحة 235) وهكذا أصبح الدين الموجه الأساسي لكل الفعاليات والتحركات السياسية بداية من القرن السادس ميلادي، فالكنيسة الكاثوليكية كانت تتدخل في كل شيء، إلى درجة جعل الدين أساس لبناء أي وحدة قومية، وبمثابة الضمير الوطني للشعب الإسباني، باعتبار الملوك الإسبان الأكثر تمسكا بالدين لدرجة المغالاة فيه، لهذا أخذوا على عاتقهم الدفاع عنه وحمايته ثم نشره ومحاربة أعدائه. (عبد الجليل ا.، 1989، صفحة 68)

فكان الحقد الصليبي الدفين، والطموح نحو توسيع المسيحية سببا في إشعال فتيل الحروب التي شنتها إسبانيا ضد بلدان شمال إفريقيا، حيث اعتبرت نفسها ممثلة للعالم المسيحي، خاصة بعدما تمكنت من القضاء على التواجد الإسلامي في شبه الجزيرة الإيبيرية. فكان للتعصب الديني والرغبة في وقف المد الإسلامي في القارة الأوربية سببا في زحف إسبانيا على البلاد الإسلامية. وفي هذا الصدد يعتبر بعض المؤرخين الغربيين الكاردينال **خمينيس** الذي كان من أكبر المشجعين والمحرضين على احتلال المغرب الإسلامي، شخصية عظيمة كونه آمن بفكرة العمل وفق منهج تخليص إفريقيا الشمالية من البربرية الإسلامية لأجل نصرة المسيحية والحضارة.

(عبد القادر ف.، 2012، الصفحات 15-16) فقد آمنت أوربا بفكرة القومية مدة من الزمن، لأنها اعتبرتها سلاحا سياسيا مهما، أقوى من أي سلاحا آخر، وقد عمل كل كنائس أوربا ضد الاسلام والمسلمين رغم اختلاف هذه الكنائس فيما بينها، بل حتى الأفراد والجماعات النصرانية آمنت بفكرة العمل المشترك ضد كل ما هو إسلامي، كما عملت الدول الأوربية على نسيان خلافاتها السياسية وتوجهاتها الإيديولوجية، لأجل المصالح المشتركة التي تربطها في سبيل القضاء على الدين الإسلامي وتقاسم النفوذ فيما بينهم. (محمود ش.، 2000، صفحة 17)

كما أثار التوسع العثماني في أوربا مخاوف العديد من الدول الأوربية الاستعمارية حيث رأت في ذلك تقلصا لنفوذها، مما دفع بالكثير منها إلى إعلان الحرب ضد الدول العثمانية، وتشكيل تحالفات صليبية تحت رعاية بابوية للقضاء على المد الإسلامي العثماني الذي بدأ يهيمن على الحوض الغربي للمتوسط ومنه يوقف الزحف الإسباني نحو المشرق الإسلامي. (سامية ، 2018-2019، صفحة 45)

فكان رجال الدين المسيحيين هم من بثوا الحقد الصليبي في المجتمعات الأوربية المسيحية ورفعوا راية الحرب المقدسة ضد الدولة العثمانية ومن ورائها كل الأقطار الإسلامية، كما أشعلوا نار الفتنة وبثوا سمومهم الصليبية في صفوف الرعايا المسيحيين الذين يعيشون في الدولة العثمانية، للقيام بالتمردات والثورات ودعمهم فيها لإنهاك الخلافة الإسلامية من الداخل وإضعافها حتى يتسنى القضاء عليها. (محمود ش.، 2000، صفحة 118)

المطلب الثاني: الدعاية الأوربية ضد الإسلام في الفترة الحديثة

لقد كان لكتابات الأسرى الأوربيون في الجزائر دور كبير في تشويه صورة الإسلام والمسلمين في شمال إفريقيا، لهذا عملت الحكومات الأوربية على تشجيع نشر الروايات خاصة تلك التي تحمل البعد الإيديولوجي، وهذا لإبعاد القراء عن الإسلام والمسلمين، ورسم الهمجية الإسلامية في عقول المسيحيين، والتأسيس لدعاية قوية تعتمد على المذكرات الشخصية. ذلك أن أعداد المسيحيين الذين دخلوا في الإسلام خلال الفترة الحديثة، كان أكثر بكثير من المسلمين الذين تحولوا إلى المسيحية. الأمر الذي إلى خلق نوع جديد من الدعاية لتشويه صورة المسلمين في المجتمع الأوربي، وتصويرهم في أشكال عدائية. (قرباش ، 2016 / 2015، صفحة 233)

حيث صور العديد من المؤرخين الأوربيين صورة قاتمة عن الحرية الدينية في الجزائر خلال الفترة الحديثة، فقد كانت السلطة العثمانية في الجزائر تفرض على المسيحيين الأسرى الدخول في الإسلام مقابل امتيازات كثيرة، في حين أن الباقيين على مسيحتيهم يجبرون على الاشتغال في الأعمال المنحطة إلى غاية افتدائهم أو الموت أو تمكنهم من الهرب. (قرباش.، 2014، صفحة 145) ومن هنا فإن النظرة السلبية والقاتمة التي كان هؤلاء الأسرى يرسمونها عن الجزائر عند عودتهم إلى ديارهم تعطي تصورا سلبيا وصورة سوداء عن الجزائر وسكانها، خاصة وأن السكان

العاديين لا يعرفون عن الجزائريين سوى أنهم أعداء لدينهم، إضافة إلى الدور الفعال الذي كانت الكنيسة تقوم به، حيث عملت على أن تجوب بهؤلاء الأسرى المحررين المدن والقرى، ليقصوا حياتهم عندما كانوا في الأسر، فيسردون قصصا خيالية ويضخمون حالة القسوة والبؤس التي كانوا يعيشونها في الجزائر. (قرباش.، 2014، صفحة 146)

لقد لعبت الكنيسة البابوية دور كبير في حملة التشهير التي لحقت بالدولة العثمانية ذلك أنها أول دولة إسلامية في التاريخ استطاعت أن تفتح الجزء الجنوبي الشرقي لأوربا، هذا المد الإسلامي داخل أوربا كان سببا لبدء حملات التشهير والتشويه التي لم يسلم منها لا سلطان المسلمين ولا الحكومات والإيالات الإسلامية التابعة للخلافة العثمانية، بل حتى الرعايا المسلمين العاديين لم يسلموا من حملة التشويه، كل هذا لأجل النيل من كل ما هو إسلامي. (عبد العزيز محمد ، 2004، صفحة 17)

إن المناخ الديني المتطرف الذي ساد أوروبا المسيحية وغلب على سياسة ملوكها، خاصة في شبه الجزيرة الإيبيرية الذي زاد تأثيره بشكل كبير بعد أن تمكنت إسبانيا بعد اتحادها من طرد مسلمي الأندلس وإسقاط غرناطة آخر معاقل المسلمين في الأندلس، حيث سادت بعدها موجه من حب الانتقام والشعور العارم بضرورة مواصلة ما بدأوه، لهذا بدأت حملات بحرية نحو سواحل شمال إفريقيا للقضاء على الاسلام هناك ونشر المسيحية، وكانت هذه الحملات والهجمات تحت الغطاء الديني الذي تزعمته الكنيسة الكاثوليكية. ذلك أن المسيحية في نظرهم ليست دينا فقط، بل كانت تجمع جوانب مختلفة، فهي اللغة اللاتينية، وهي التراث الإغريقي الروماني، وهي أوروبا التي تسكنها العناصر البيضاء المتحضرة، فهي بالتالي تمثل الوجه الشمالي لهذا الصراع الحضاري، في المقابل كان العالم الإسلامي يمثل الجنوب المتخلف بالتعبير الحالي. (كمال ، 2014، صفحة 576)

المطلب الثالث: المدرسة الاستعمارية ودورها في تحريف حقيقة نشاط البحرية الجزائرية

عملت المدرسة الاستعمارية الفرنسية على تحريف الحقيقة التاريخية للنشاط الذي كان يقوم به الأسطول الجزائري، فقد سعت إلى تشويه سمعة البحرية الجزائرية خلال العهد العثماني، مبررة بذلك غزوها واحتلالها لهذه المنطقة التي حسب زعمهم كان يسكنها أناس بربريين ومتوحشون. (سمير خ.، 2016) وأن كل الشعوب القديمة المطلة على البحر المتوسط قد مارست القرصنة التي استمرت مدة طويلة من الزمن إلى أن جاء الاستعمار الفرنسي الذي قضى عليها بصفة نهائية. كما اعتبرت هذه الكتابات القرصنة الجزائرية من نفس طبيعة القرصنة التي كانت يقوم بها قديما الفينيقيين والقرطاجيين ضد الإمبراطورية الرومانية. حيث قام هؤلاء البرابرة المتوحشون بتخريب الأراضي الأوروبية وكل ما تطاله أياديهم، وخلفهم في هاته المهمة الشنيعة المسلمون الذين هم بدورهم يعيشون على السلب

والنهب، والمتعصبون ضد المسيحيين، والذين يزرعون الخراب والرعب أينما مروا، وهذه الأحداث انتهت يوم رفرف العلم الفرنسي المجيد على أسوار مدينة الجزائر. (Clement , 2013 , p. 35) كل هذا يصور بأن القرصنة البحرية إذا ارتبطت بالمسلمين فهي دوما مصاحبة للنهب واللصوصية، أما إذا كانت من طرف المسيحيين فهي عبارة عن خدمة الوطن والعقيدة وهم جنود الرب وأبطال الهدف من نشاطهم هو محاربة المسلمين الذين تشجهم ديانتهم البربرية على السرقة والخراب. (سمير خ.، 2016)

والواقع أن تاريخ الجزائر الحديث ناله الكثير من التشويه والتزييف، من طرف المؤرخين الأوربيين الذي يصرون على اعتبار رياس البحر المسلمين أمثال عروج وخير الدين، قراصنة امتهنوا لصوصية البحر من أجل أطماع ومكاسب مالية، ناسيين بذلك أن نشاطهم كان عبارة عن جهاد لوقف الهجمات الصليبية دفاعا عن إسلام وعروبة مسلمي شمال إفريقيا، فليس من المنطقي اعتبار من يقوم بحماية ممتلكاته والدفاع عن الأرواح الإسلامية بأنهم قطاع طرق وقراصنة لا هم لهم سوى السلب والنهب وتخريب طرق الملاحة الدولية وعرقلة قيام علاقات سلمية بين الشعوب. أما القرصنة التي يتكلمون عليها فلم تكن مقصورة على مسلمي شمال إفريقيا دون غيرهم، فقد مارستها كل الشعوب في تلك الفترة، بل حتى أن الأوربيون أنفسهم مارسوها ضد بعضهم البعض. (عبد المنعم، 2002، الصفحات 13-14)

إن المدرسة الاستعمارية الفرنسية وبعدها الدول الأوروبية قد عملوا على إيجاد مبررات لعملية الغزو بعد نجاح عملية غزو الجزائر، هذا الغزو استلزم ايجاد مسوغ أخلاقي ومشروع لتبرير عمل شنيع قامت به فرنسا في حق الجزائر. ولذلك فقد استغلت فرنسا حجة القضاء على القرصنة الجزائرية لخدمة لمشروعها الاستعماري الجديد، بغية انخراط الشعب الفرنسي في هذا المشروع، ومحاولة استمالة الشعوب والحكومات الأوربية بغية تنفيذ مشروع ضخم بحجم احتلال الجزائر، وتخليصهم من كابوس كان يجثم على صدورهم إلى الأبد. (سمير خ.، 2016)

ويصر المؤرخون والباحثون الأوربيون إصرارا شديدا على أن سر قوة البحرية الجزائرية هو الأصول المسيحية لرياس البحر الجزائريين الذين أسلموا، كما وصفوا القادة البحريين المغاربة بأبشع الأوصاف، فصوروهم برابرة مجردين من كل المبادئ الأخلاقية، وأن هدفهم الأسمى هو خوض المعارك سعيا وراء المغانم التي يضفرون بها. لكن الحقيقة هو أن هؤلاء القادة المسلمين كانوا مثالا يحتذى به في البطولة والفدائية في المعارك التي خاضوها ضد التكتلات

الصليبية الدولية. إذن فالوصف العلمي والتاريخي لنشاط هؤلاء البحارة هو مجاهدون إسلاميون خاضوا صراعا صليبيا ضد الدول الأوربية التي طالما أرادت الاستيلاء على أرضهم، وتحويل سكانها إلى مسيحيين، وطمس هويتهم العربية الإسلامية، أما وصف القرصنة واللصوصية فكان مبعثه شعور الأوربيين بالمقت والضغينة على المسلمين الذين ألحقوا الخسائر والهزائم في صفوف أعدائهم. (عبد العزيز محمد ، 2004، صفحة 181)

المبحث الثاني: البعد الاقتصادي لنشاط البحرية

المطلب الأول: الغنائم البحرية للأسطول الجزائري

المطلب الثاني: المدخول المالي للأسرى في الجزائر خلال العهد العثماني

المطلب الثالث: الإتاوات والهدايا الإلزامية

المبحث الثاني: البعد الاقتصادي لنشاط البحرية

يعتبر القرن السابع عشر العصر الذهبي للبحرية الجزائرية، حيث وفر الأسطول البحري الجزائري موارد مالية ضخمة من خلال النشاط الذي قام به، كما ساهمت طائفة الرياس في تطوير الاقتصاد الجزائري، ما جعل من مدينة الجزائر غنية ومزدهرة، نتيجة العمليات البحرية المكثفة التي قام بها رياس البحر والتي كانت تتكلل في غالبها من إنتصارات كبيرة تصاحبها عائدات بحرية ضخمة. (حمزة اسحاق، 2011-2012)

فقد كان النشاط البحري المدخول الرئيسي لخزينة الدولة سواء ما تعلق بفداء الأسرى والإتاوات والهدايا التي كانت مفروضة على قناصل الدول الأوربية، لا سيما أثناء القرنين السادس عشر والسابع عشر ميلادي، فالدولة كانت تحصل على مداخيل طائلة نتيجة استيلاء البحارة الجزائريين على العتاد الحربي لسفن العدو. (ناصر الدين و المهدي ، 1984، صفحة 29) ويمكننا تقسيم مجمل العائدات البحرية الى:

المطلب الأول: الغنائم البحرية للأسطول الجزائري

ذكر **المنور مروش** في كتابه: القرصنة الأساطير والواقع، أن سنوات الغنائم البحرية القصوى كانت بين سنتي 1611-1645، فقد حققت البحرية الجزائرية غنائم كبيرة متمثلة في العشرات من السفن الحربية والتجارية من مختلف الدول الأوربية والتي حققت لها مكاسب مالية كبيرة، (المنور، 2009، الصفحات 315-323)

كما استطاع االجزائريون بين سنتي 1613-1621م الاستيلاء على 447 سفينة هولندية، و193 سفينة فرنسية، و20 سفينة إسبانية، و60 سفينة انجليزية، و56 سفينة ألمانية. وقد أحضروها جميعا إلى الجزائر كغنائم بحرية. (علي ت.، 2013، صفحة 134) وبين سنتي 1630 و1634 استطاع الأسطول أن يستولي على 80 سفينة خلال الحرب ضد فرنسا ويحقق مكاسب مالية تفوق المليارات من الفرنكات القديمة. (عبد القادر ج.، 1982، صفحة 43) وفي عام 1661م تمكن الأسطول الجزائري من اقتحام المدن التابعة للبندقية وبعض المدن الإيطالية، وعاد منها بغنائم تقدر بملوني سكة ذهبية، كما حصل على مليوني قطعة ذهبية أخرى نتيجة اقتحامه لأكبر مركز تجاري بحري لإسبانيا، كما استطاع سنة 1667م إيقاف سفن تنقل البضائع من الهند في المحيط الأطلسي وغنم كل الغنائم التي كانت تحملها. (يلماز ، 1988، صفحة 516)

وتخرج السفن الجزائرية بحثا عن الغنائم عادة في بداية فصل الربيع، وكانت الغنائم البحرية التي يتحصل عليها الأسطول الجزائري تتكون من السفن المحملة بمختلف السلع والبضائع، والأموال المنقولة، والمواد الغذائية الاستهلاكية، الأسلحة والذخيرة ... وغيرها. (هابنسرايت، 2007، الصفحات 43-44)

وقد عرف النصف الثاني من القرن 17 م تصاعدا للغارات البحرية الجزائرية ضد السفن العابرة للحوض الغربي للمتوسط، وهو ما انعكس على قيمة عائداتها المالية، ففي الفترة الممتدة بين1674-1677م بلغت القيمة المالية لنشاط البحرية الجزائرية 508628.71 فرنك من مجموع 191 غنيمة بحرية. (سمير م.، 2018-2019، صفحة 255) لكن مع بداية القرن الثامن عشر بدأ مدخول العائدات البحرية يتناقص، خاصة العقد الأول منه أين كنت تكاد تنعدم الغنائم، ثم انتعشت بعض الشيء، حيث عاد الأسطول سنة 1733م بغنائم معتبرة وعدد من السفن الفرنسية، وفي سنة 1748م غنم الأسطول ثلاث سفن برتغالية كبرى كانت عائدة من البرازيل وبها 150 رجل فضلا عن المواد الاستهلاكية والنقود الفضية التي كانت تحملها، لتتراجع العائدات البحرية من جديد نتيجة المعاهدات التي وقعتها الجزائر مع أغلب الدول الأوربية الكبرى. (المنور، 2009، صفحة 349)

المطلب الثاني: المدخول المالي للأسرى في الجزائر خلال العهد العثماني

شكلت عمليات الأسر في العالم خلال الفترة الحديثة منظومة متكاملة، حيث أنه ارتبط ارتباطا وثيقا بالوضعية العامة السائدة خلال هذه الفترة التاريخية، فقد أخذ موضوع الأسرى نصيب الأسد في كل الأمور المتعلقة بالبحر خلال العهد العثماني، (سمير م.، 2018-2019، صفحة 210) وبسبب كثافة النشاط البحري، شكل الأسر السلعة الأكثر رواجا في الجزائر و لقد كانت الجزائر في القرن 17 تعج بأعداد هائلة من الأسرى، بلغ عددهم حسب بعض التقديرات الواردة في المصادر الغربية عشرات الآلاف. (محمد الامين، 2011-2012، صفحة 100) وتعتبر قضية الأسر في البحر الأبيض المتوسط خلال الفترة الحديثة أمرا عاديا، ما دامت الدول لم توقع على معاهدات للسلم تكفل لها العبور في المتوسط، وكان أغلب هؤلاء الأسرى بحارة وقليل منهم كانوا مسافرين، فيتم بيعهم في الأسواق والاحتفاظ بالبعض الآخر كعمال تابعين لسلطة الدولة، وبطبيعة الحال لم يكن القراصنة الجزائريون هم فقط من يقومون بهذا النشاط، بل كان منتشرا بين كل البلدان الأوربية، حيث وجدت أسواق لبيع الأسرى في الموانئ المسيحية خاصة ليفورنو وإيطاليا. (رزاق، 2014-2015، صفحة 34)

غير أن ما يميز الجزائر عن المسيحيين في هذا النشاط، هو إلتزام الجزائر بعاداتها وتقاليدها التي تحددها ضوابط الشريعة الإسلامية، فالمسلم شدته مع أعدائه، إلا أنه يكون رحيما بالمنهزمين منهم، فلا وجه للمقارنة بين ما يلقاه

الأسرى الجزائريون في البلدان المسيحية الذين لا يستطيعون إلا بشق الأنفس جر الأغلال الحديدية الثقيلة، بالمقارنة مع حياة الأسرى المسيحيين في شمال إفريقيا. (هابنسرايت، 2007، صفحة 46) حتى أن الأسرى المسيحيين الذين كانوا يعملون على ظهر السفينة ويقومون بأعمال التجديف، قد خصص لهم نصيب من الغنائم البحرية التي يغنمها رياس البحر الجزائريون. (علي ت.، 2013، صفحة 134)

وقد ذكرت بعض المصادر أن عدد الأسرى بلغ في بعض الفترات نسبة 25% من مجموع سكان مدينة الجزائر، أي ما يقدر ب 35 ألف نسمة، منهم 900 أسير كانوا في حوزة **علي بتشين**، الذي استخدم 300 أسير على ظهر السفن التابعة له، وقد تطلب فداء هؤلاء الأسرى أموالا ضخمة تحصلت عليها الجزائر من قناصل ومبعوثي الدول الأوربية ومن البعثات المسيحية، فعلى سبيل المثال إسبانيا كانت ملزم بدفع 60000 قرش، مقابل إطلاق رعاياها المحتجزين بالجزائر، يتراوح عددهم بين 200 و300 أسير. (ناصر الدين و المهدي ، 1984، صفحة 29) وأسر الجزائريون في الفترة الممتدة بين 1621-1627م عشرون ألف شخص وقد طلب عدد كبير منهم اعتناق الإسلام، وبلغ عدد الأسرى منتصف القرن السابع عشر 36 ألف أسير. (يحي، 2009، صفحة 200)

وفي هذا الصدد يقول المؤرخ الأمريكي **وليام سبنسر** إن عملية بيع وافتداء الأسرى المسيحين تشكل أكبر مدخول للأسطول الجزائري، وقد كانت بدايات القرن السابع عشر هي الفترة التي ازدهرت فيها عمليات الأسر، وهي أزهى فترة لمدينة الجزائر. (وليم، 2006، صفحة 157) وكان الداي يبقي على أفضل الشباب الأسرى لخدمته، أما البقية فيتم بيعهم في السوق لمن يدفع أكثر، وكانت هذه العملية تعود على الدولة بربح وفير. (De tassy, 1837, p. 274) وبذلك شكلت عائدات الغنائم البحرية وخاصة تجارة الأسرى بمدينة الجزائر خلال العهد العثماني ثروة لأغلب الجزائريين، واعتمدت القرصنة البحرية وجعلت نشاطا بحريا جائزا، بحيث كانت الدولة تقدم ترخيصا لممارسة هذا النشاط باسم حاكم الجزائر، وقد تباينت عديد الدراسات في تحديد تعداد الأسرى الأوربيين في مدينة الجزائر خاصة في العصر الذهبي للبحرية الجزائرية. (سمير م.، 2018-2019، صفحة 210)

المطلب الثالث: الإتاوات والهدايا الإلزامية

هي عبارة عن رسوم فرضتها الدولة الجزائرية على كل المتعاملين معها تجاريا مقابل السماح لهم بحرية الملاحة في الحوض الغربي للمتوسط، (ناصر الدين س.، 2009، صفحة 140) حيث أن ثلاثة أرباع أوربا إضافة إلى أمريكا قد اخضعت لمهانة الضريبة التي تدفعها للجزائر، (De Grammont, 1887, p. 01)

وقد تباينت قيمة هذه الإتاوات حسب العلاقة التي تربط تلك الدول بالجزائر، كما كان للظروف السائدة في تلك الفترة تأثير على تحديد مبالغ تلك الإتاوات. (حنيفي هـ.، 2007، صفحة 71) وكانت هذه الدول تدفع ضريبة للجزائر كل سنتين بالإضافة إلى تقديم العتاد البحري والحربي فضلا عن الهدايا التي كانت تقدمها هذه الدول حين عقد المعاهدات وتغيير القناصل وغيرها من المناسبات، والدولتان الوحيدتان اللتان لا تدفعان هما روسيا والنمسا، نظرا لجوارهما للباب العالي. (مولود قاسم، 2007، صفحة 76)

ومع مرور الوقت أصبحت الهدايا التي يقدمها القناصل حين اعتمادهم، تتسم بطابع المنحة الإجبارية، حيث وصل الأمر ببعض الحكام للمطالبة بها، وأصبحت تسمى هدايا السنتين. (رزاق، 2014-2015، صفحة 39) وقد مثلت هذه الهدايا والمنح مصدرا مهما لتدعيم رصيد خزينة الدولة، فالولايات المتحدة على سبيل المثال حينما طلبت توقيع معاهدة سلم مع الجزائر، تعهدت بدفع 1.5 مليون، بالإضافة الى 40 ألف دولار لفدية الأسرى، و725 دولار كجزية سنوية للجزائر زيادة عن المعدات الحربية. وظلت تدفع في هذه الضريبة حتى سنة 1810م. (فاطة الزهراء، 2011، صفحة 27)

ويقول صاحب كتاب تحفة الزائر فيما تعلق بالإتاوات والهدايا التي تقدمها الدول الأوربية لإيالة الجزائر: إن إنكلترا كانت تدفع 600 ليرة في كل سنة، أما فرنسا فتؤدي هدايا ثمينة عند تغيير قناصلها، والدانمارك فكانت تدفع آلات حربية قيمتها 4000 ريال وهدايا قيمتها 4000 ريال شينكو، ومملكة سيردينيا 6000 ليرة فرنساوية، أما أمريكا فتدفع آلات حربية قيمتها 4000 ريال و10000 ريال نقدية، بالإضافة الى الهدايا الثمينة التي يحضرها قناصلها، وألمانيا 600 ليرة إنكليزية وإسبانيا والبرتغال كانتا تدفعان هدايا ثمينة وقيمة، ودولة هولندا 600 ليرة فرنساوية، ومملكة سيسيليا 24000 ريال شينكو وهدايا قيمة بقيمة 4000 ريال، وفي بعض الأحيان حاولت هذه الدول التهرب من الدفع أو المقاولة والتحرك للانتقام، لكن في أغلب الأحيان لا تنجح فتضطر لطلب السلم. (محمد ب.، 2001، صفحة 158)

غير أن الفترة الأخيرة من حياة إيالة الجزائر، شهدت تراجع في قيمة هذه الإتاوات والهدايا التي كانت تدفعها الدول الأوربية للجزائر، فلم تعد إلتزامات مالية بالمعنى الحقيقي تساهم بمدخول محترم لخزينة الدولة، بل أصبحت مجرد هدايا دبلوماسية وترضيات مالية تقدمها الدول الأوربية مقابل السماح لهم بالملاحة البحرية في الحوض الغربي للمتوسط، ونيل الاحتكارات والامتيازات التجارية. (رزاق، 2014-2015، صفحة 41)

Université Mohamed Boudiaf - M'sila

إضافة إلى ذلك كان هنا مصدر رابع يتمثل في المبالغ المالية التي كانت تحصلها الدولة من المؤسسة البحرية بذاتها، وذلك من خلال السماح للسفن التجارية بالإرساء في الميناء ورسوم إعادة السفن للوضعية السابقة وتصليح التشكيلات الزائرة وكذلك ورشات بناء السفن وصناعة الأسلحة. (وليم، 2006، صفحة 155)

1985
جامعة محمد بوضياف - المسيلة
Université Mohamed Boudiaf - M'sila

الخاتمة

الخاتمة

من خلال دراستنا لموضوع نشاط البحرية الجزائرية خلال العهد العثماني توصلنا لمجموعة من الاستنتاجات والنتائج والتي نذكر منها:

– شهدت منطقة الغرب الإسلامي أواخر القرن الخامس عشر وبداية القرن السادس عشر ميلادي تغيرات جذرية، خاصة بعد توحد إسبانيا عام 1467م بزواج **فرديناند وايزابيلا**، هذا الإتحاد كان سببا في القضاء على مملكة غرناطة آخر معاقل المسلمين في الأندلس سنة 1492م. في الوقت نفسه عاش المغرب الإسلامي حالة من الفوضى والتفكك والانقسام.

– يعتبر البحر الأبيض المتوسط نقطة صراع بين شعوب الضفتين منذ القدم، فسعت كل الحضارات المتعاقبة إلى الاستفادة من أهميته الجغرافية والتجارية، كما شكل نقطة صراع ديني بين المسلمين والنصارى.

– لعب العامل الديني الدور الأساسي والبارز في الصراع الذي شهدته ضفتي المتوسط، فقد سعت الكنيسة البابوية لتغذية الحقد والكراهية بإعادة بعث الحروب الصليبية. فكانت المحرك الرئيسي للهجمات والحملات التي قامت بها إسبانيا نحو منطقة المغرب الإسلامي.

– كان للإخوة بربروسا الفضل الكبير في تحرير السواحل الجزائرية من الاحتلال الإسباني، وتجلى ذلك أكثر فأكثر بعد انضمام الجزائر للدولة العثمانية بصفة رسمية سنة 1519م، وتشكيل الأسطول البحري الجزائري الذي هيمن على الحوض الغربي للمتوسط قرابة الثلاث قرون.

– بعد انضمام الجزائر للدولة العثمانية ازداد النشاط البحري في الحوض الغربي للمتوسط، وتعددت تسمياته بين اللصوصية والقرصنة والقورصو، إلا أن الجزائر أطلقت عليه مصطلح الجهاد البحري الذي حمت به حدودها من كل الحملات العسكرية والتحالفات الصليبية التي تشكلت ضدها.

– يمكن القول بأن الأعمال الحربية للبحرية الجزائرية في العهد العثماني، لا علاقة لها بصورة مباشرة أو غير مباشرة بالقرصنة بمفهومها الأوروبي. وأن كل ما قيل عنها وعن البحارة الجزائريين ومن أن أعمالهم تنبع من التعطش لأعمال السلب والنهب، ما هي إلا دعاية مغرضة من قبل عدو أراد أن يبرر أعماله الاستعمارية. ولكي يتمكن من تجنيد وتوحيد صفوف مواطنيه حول قضيته الشيطانية.

جامعة محمد بوضياف - المسيلة
Université Mohamed Boudiaf - M'sila

– عرفت البحرية الجزائرية خلال القرن السادس عشر وبدايات القرن السابع عشر ميلادي أوج قوتها فكان العصر الذهبي لها، ساهم في ذلك عدة عوامل منها حرص العثمانيين على بناء قوة بحرية بإنشاء الترسانات وصناعة السفن وتحصين الموانئ، بالإضافة إلى مساهمة العنصر الأندلسي في النشاط البحري، ضف إلى ذلك الدور الكبير الذي لعبه الأعلاج الذين دخلوا الإسلام ومدى مساهمتهم في دفع عجلة الغزو البحري، والمساهمة في تطوير الأسطول البحري تقنيا وذلك لمعرفتهم بالملاحة الأوربية، ونقلهم لعديد الخبرات الأوربية للبحرية الجزائرية.

– لعبت البحرية الجزائرية دور كبير في تدعيم علاقة الجزائر بالخلافة العثمانية من خلال المساعدة في الحروب التي خاضتها الدولة العثمانية ضد التحالفات الصليبية، حيث شارك الأسطول الجزائري في عدة معارك بحرية، كمعركة ليبانت وبريفيزا وغيرها من المعارك، حيث طالما كان سباب في ترجيح كفة الأسطول العثماني.

– صاحب ازدياد نشاط البحرية الجزائرية ارتفاع في العائدات البحرية من الغنائم والأسرى والإتاوات، وخضعت هذه العائدات للمبادئ الإسلامية، فقد كانت تقسم بطريقة عادلة بحيث أن كل من ساهم في الحصوص عليها يتحصل على حصته منها.

– شكلت ظاهرة الأسر في الحوض الغربي للمتوسط ظاهرة بالغة الأهمية، خاصة بعد تصاعد وتيرة النشاط البحري وانتشار القرصنة البحرية بين شعوب ضفتي المتوسط. فنجد أن الكتابات الأجنبية لعبت دور كبير في تشويه صورة الجزائر من خلال شهادات بعض الأسرى الذي قصوا قصصا خيالية عن الأسر في الجزائر وما يلقونه من معاملة قاسية وسيئة، لكن كل هذا كان دافعه الحقد الدفين للإسلام والمسلمين، فالحقيقة كانت خلاف ذلك تماما حسب بعض المؤرخين الغربيين الذين أنصفوا الجزائر وبينوا الفرق بين أن تعيش أسيرا في الجزائر أو أن تكون أسيرا لدى الدول الأوربية.

– لعب الأسطول البحري الجزائري دورا كبيرا وبارزا في نصرة الإسلام والمسلمين، فقد وقف ومنذ بداياته الأولى في صف الشعوب المظلومة، بداية بنصرة المسلمين الفارين من الاضطهاد الذي مارسته إسبانيا على مسلمي الأندلس وصولا إلى المساهمة في تحرير الديار الإسلامية أو المشاركة في الحروب الإسلامية ضد التحالفات الصليبية.

– مر النشاط البحري الجزائري خلال العهد العثماني بثلاث مراحل أساسية، تمثلت المرحلة الأولى في النواة الأولى التي زرعها خير الدين بربروسا ومساهمته في بناء الأسطول الجزائري، وشهدت هذه الفترة نشاطات بحرية قليلة تميزت بطابع الجهاد في سبيل الله، أما المرحلة الثانية فتعتبر مرحلة ازدهار وقوة النشاط البحري حيث خاضت الجزائر العديد من المعارك البحرية وحققت فيها الفوز الساحق وكان هذا العصر هو العصر الذهبي للبحرية

الجزائرية، حيث أصبحت للجزائر قوة بحرية و هيبة دولية، غلب عليها السعي وراء الغنائم خاصة مع انضمام عدد كبير من الأعلاج إلى الأسطول الجزائري، أما في الفترة الأخيرة من العهد العثماني فقد بدأت أوضاع الأسطول تتدهور وتضعف إلى غاية تحطمه في معركة نفارين 1827م.

– على الرغم من البعد الجهادي الغالب للأسطول الجزائري منذ نشأته، إلا أن ذلك لم يمنع من مروره بفترات سادها السعي وراء المغامرة سعيا منه لتوفير مكاسب مالية ضخمة جراء العائدات المالية.

– لقد كانت النظرة الأوربية لنشاط البحرية الجزائرية خلال العهد العثمانية نظرة يحركها الحقد الصليبي على كل ما يمت للإسلام بصلة، فحاولوا جاهدين إلصاق صفة القرصنة واللصوصية البحرية على العمليات التي كان الأسطول الجزائري يقوم بها في الحوض الغربي للمتوسط، لكن الواقع يقول أن الجزائر كانت تمارس حقها المشروع في الدفاع عن المسلمين، وكذا الولاء للخلافة الإسلامية العثمانية.

وفي الأخير نتمنى أن نكون قد وفقنا في الإجابة على الإشكالية التي طرحناها آنفا، وأن نساهم ولو بالشيء القليل في إثراء المكتبة الوطنية، بهذا العمل المتواضع، الذي سيكون بإذن الله فاتحة تساؤلات جديدة، ذات أبعاد أوسع وأشمل، وأكبر مجالا، حول موضوع البحرية الجزائرية وطبيعة نشاطها بين الجهاد والقرصنة، ويبقى الموضوع مفتوحا ومحل نقاش وتحليل ومتابعة.

جامعة محمد بوضياف - المسيلة
Université Mohamed Boudiaf - M'sila

الملاحق

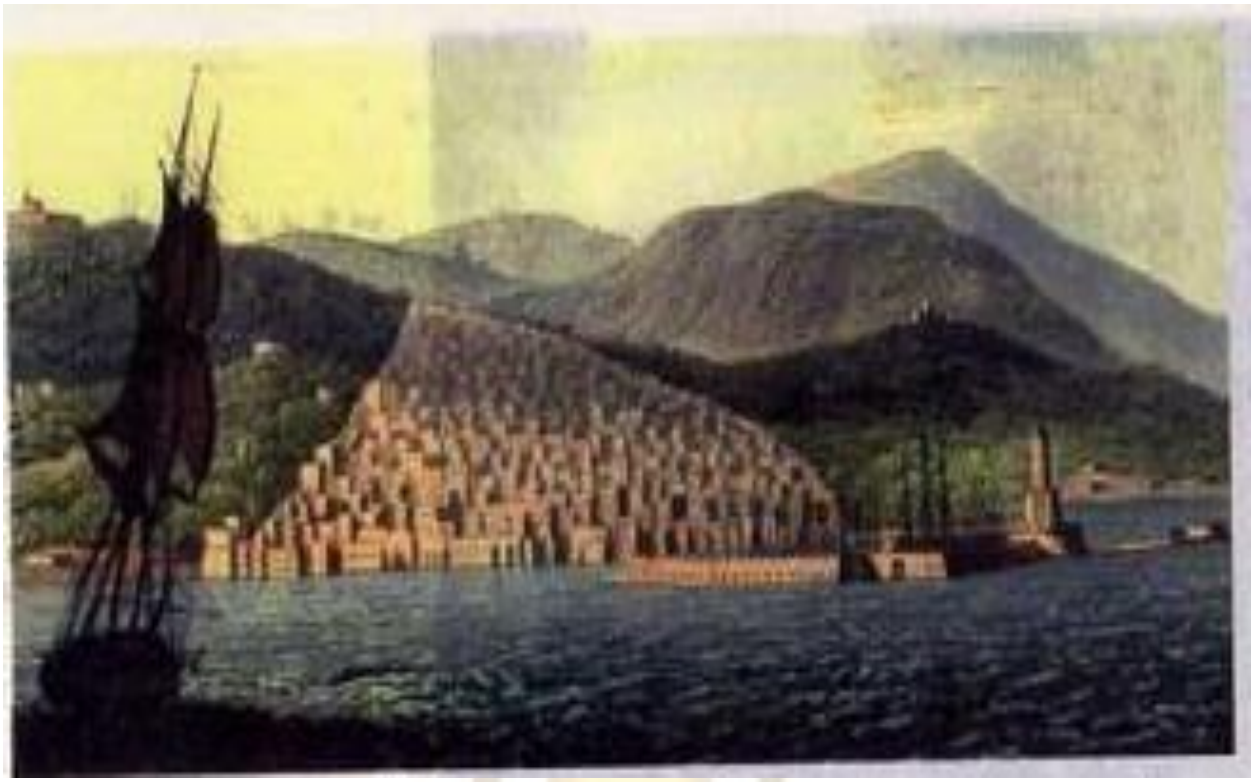

منظر لمدينة الجزائر مطلع القرن 16م وعلى اليمين قلعة البنيون التي بناها الإسبان (خير الدين، 2010، صفحة 223)

نموذج لسفينة قادرغة (خير الدين، 2010، صفحة 223)

سفن أخرى مستعملة في الأسطول الجزائري (محمد الامين، 2011-2012، صفحة 173)

سورة لسوق النخاسة (العبيد) في مدينة الجزائر (محمد الامين، 2011-2012، صفحة 178)

حملة شارل الخامس على مدينة الجزائر 1541م (حليم س.، 2007-2008، صفحة 302)

إننا ندعو بالسعادة والنصر لمقام السلطنة العلية. دعاء يبلغها أقصى الأماني، فإن عبيدها بالجزائر يكتبون إلى مقامها العالي معبرين ومعترفين. وإن رسالتنا هذه لا تستطيع أن تستعرض كل الأسرار. وإن سعادة أيامكم هي قوتنا. ونحن لزمام أموركم وطاعتكم مستبشرين وعليكم لا محالة اعتمادنا. فقد أطعنا أمركم، وعبيدكم ليس لهم غير جنابكم، يرفعون إليه غاية الإجلال والتقدير وليس لهم قصد غير شريف مقامكم العالي.

لقد جرت حوادث جليلة، ولها أخبار طويلة في نصر المؤمنين وهزيمة أعداء الله. ومفادها أن طائفة الطاغية لما استولت على بلاد الأندلس انتقلوا منها إلى قلعة وهران للاعتداء على سائر البلاد. غير أنه بعد استيلائهم على بجاية وطرابلس بقيت الجزائر (بين الكفار) كالنقطة وسط الدائرة. وبقينا كذلك حيارى متأسفين يحفنا الكفار من كل جانب. ولكن تمسكنا بحبل الله المتين، واتكلنا عليه. غير أن طائفة الطاغية شددت علينا الطلب هادفة إدخالنا تحت ذمته. وقد نظرنا في الأمر ورأينا أن المحن والشدائد تشتد وأن الضرورة تقضي بحقن دماء أنفسنا وحفظ حريمنا وأموالنا وأولادنا من السبي والتفريق تصالحنا مع أهل التثليث، وإنا لله وإنا إليه راجعون.

وبعد هذه المضايقة والحصار دخل الكفار إلى وهران وبجاية وطرابلس. وكان قصدهم أن يأتوا بسفنهم ويستولون علينا ويأسروننا ويشتتون شملنا فجأة.

آنذاك قدم ناصر الدين وحامي المسلمين المجاهد في سبيل الله أوروج باي مع ثلة من الغزاة. فقابلناه بالعز والإكرام واستقبلناه لأننا كنا في خوف من عدونا فخلصنا بفضل الله. وأوروج باي المشار إليه جاءنا من تونس لإنقاذ بجاية من يد الكفار(واتصل) بالمسلمين. فلما وصل إلى القلعة وحاصرها مع المجاهد الفقيه الصالح أبي العباس أحمد بن القاضي زلزلوا أركانها وهدموا بنيانها وشاهد الكفار عندما دخل المسلمون القلعة، وهاجموهم واستولوا عنوة على برج منها، اختلال بنيانهم وقرب حتفهم.

لقد حارب المسلمون الكفار آناء الليل وأطراف النهار، من طلوع الشمس إلى غروبها. وعلى الرغم من ترك بعض من جماعة أوروج القتال بقي المشال إليه يقاتل الكافر مع جماعة قليلة. وكان قد عزم على لقائنا غير أنه وقع شهيدا في حرب تلمسان.

وقد حل مكانه أخوه المجاهد في سبيل الله، أبو التقى خير الدين.وكان له خير خلف، فقد دافع عنا ولم نعرف منه إلا العدل والإنصاف واتباع الشرع النبوي الشريف. على أن محبتنا له خالصة، ونحن معه ثابتون. كيف لا نحبه وهو المشمر على ساعد الجدّ والاقدام.

ومفاد ما يريد عبيدكم إعلامه لمقامكم العالي هو أن خير الدين كان قد عزم قصد جنابكم العالي، إلا أن عرفاء البلد المذكورة رفعت أيديها متضرعة إليه حتى لا يرتحل خوفا من الكفار إذ هدفهم هو النيل ونحن على غاية الضعف والبلاء.

لهذا أرسلنا إلى بابكم العالي الفقيه العالم المدرس سي أبو العباس أحمد بن علي بن أحمد ونحن وأميرنا خدام أعتابكم العالية. وأهالي إقليم بجاية والغرب والشرق في خدمة مقامكم العالي. وأن المذكور حامل المكتوب سوف يعرض لحضرتكم ما يجري في هذه البلاد من حوادث والسلام.

أوائل ذي القعدة 925هـ

الرسالة التي أرسلها أهالي الجزائر إلى السلطان سليم الأول سنة 1519م يعرضون فيها ضم الجزائر إلى الدولة العثمانية (محمد د.، 2012، الصفحات 395-397)

قائمة المصادر والمراجع

القرآن الكريم

سورة ابراهيم : الأية 22.

سورة الانفال : الأية 60.

سورة يونس : الأية 22

قائمة المصادر والمراجع العربية

1. احمد , ب .(1998) .، *قراصنة المحيط الأطلسي* . المغرب: مطبعة عكاض.
2. احميده, ع .(2003) .*الجزائر في ادبيات الرحلة والاسر خلال العهد العثماني مذكرات تيدنا انموذجا* .الجزائر: دار الهدى للطباعة والنشر والتوزيع.
3. أرزقي , ش .(2006-2005) .المجتمع الجزائري وفعالياته في العهد العثماني (اطروحة دكتوراه) .الجزائر, قسم التاريخ: جامعة الجزائر.
4. أ ليسور، و و ويلد. (2002). *رحلة طريفة في ايالة الجزائر*. (جيجلي محمد ، المترجمون) الجزائر: دار الامة.
5. الباروني محمد عمر. (1952). *الاسبان وفرسان القديس يوحنا في طرابلس*. طرابلس: مطبعة ماجي.
6. التر عزيز سامح. (1989). *الاتراك العثمانيون في افريقيا الشمالية*. (علي عامر محمود، المترجمون) بيروت: دار النهضة العربية.
7. التميمى عبد الجليل. (1989). *الخلفية الدينية للصراع الإسباني العثماني وقضية الموريسكيين*. زغوان: مركز الدراسات والبحوث العثمانية والتوثيق والمعلومات.
8. التميمي عبد الجليل. (1975). رسالة من مسلمي غرناطة الى السلطان سليمان القانوني 1541. *المجلة التاريخية المغربية*(03).
9. الجمل شوقي عطا الله . (1977). *المغرب العربي الحديث في العصر الحديث (ليبيا- تونس- الجزائر- المغرب)*. القاهرة: مكتبة الانجلو المصرية.

10. الجميعي عبد المنعم. (2002). *الدولة العثمانية والمغرب العربي*. القاهرة: دار الفكر العربي.

11. السعيد محمد. (2012). دور خير الدين بربروسا في تثبيت الوجود العثماني بالجزائر. *مجلة البحوث والدراسات*(13).

12. الشناوي عبد العزيز محمد . (2004). *الدولة العثمانية دولة اسلامية مفترى عليها 2*. القاهرة: مكتبة الانجلو المصرية.

13. الشيخ رأفت. (1994). *تاريخ العرب الحديث*. مصر: عين للدراسات والبحوث الانسانية والاجتماعية.

14. الصلابي علي محمد . (2001). *صفحات من التاريخ الإسلامي في الشمال الإفريقي الدولة العثمانية عوامل النهوض وأسباب السقوط* . مصر: دار التوزيع والنشر الاسلامية.

15. العسلي بسام. (1980). *الجزائر والحملات الصليبية*. بيروت: دار النفائس.

16. الطاهر, ق ,2020) .جوان .(مسألة القرصنة او الجهاد البحري في الغرب الاسلامي: دراسة مقارنة .*مجلة عصور جديدة*,(02)*10* ,

17. المدنى أحمد توفيق. (1974). *مذكرات الحاج احمد شريف الزهار نقيب أشراف الجزائر 1754-1830*. الجزائر: الشركة الوطنية للنشر والتوزيع.

18. المدنى احمد توفيق. (بلا تاريخ). *حرب الثلاثمائة سنة بين الجزائر واسبانيا 1492-1792*. الجزائر: الشركة الوطنية للنشر والتوزيع.

19. المدني أحمد توفيق. (1686). *محمد عثمان باشا داي الجزائر 1766-1791 سيرته، حروبه، اعماله، نظام الدولة والحياة العامة في عهده*. الجزائر: المؤسسة الوطنية للكتاب.

20. المدني احمد توفيق. (1976). *حرب الثلاثمائة سنة بين الجزائر واسبانيا 1492-1792*. الجزائر: الشركة الوطنية للنشر والتوزيع.

21. الميلي مبارك بن محمد. (بلا تاريخ). *تاريخ الجزائر في القديم والحديث، ج3*. الجزائر: مكتبة النهضة الجزائرية.

22. اليوسف مسلم. (بلا تاريخ). *الجهاد البحري أهميته وفضله وبعض مميزاته*. تاريخ الاسترداد 05 مارس, 2022، من http://qawim.net

23. اوزتونا يلماز . (1988). *تاريخ الدولة العثمانية، مج 1*. (سلمان عدنان محمود ، المترجمون) اسطنبول: مؤسسة فيصل للتمويل.

24. ايفانوف نيقولاي . (1988). *الفتح العثماني للأقطار العربية، 1516-1574*. (عطا الله يوسف ، المترجمون) بيروت: ار الفارابي.

25. بروديل فرنان. (1993). *المتوسط والعالم المتوسطي*. (ابي سمرا مروان، المترجمون) بيروت: دار المنتخب العربي للدراسات والنشر والتوزيع.

26. بعرة مريم رزاق. (2014-2015). نشاط البحرية الجزائرية واثره على العلاقات التجارية بين ايالة الجزائر والممالك الاوربية خلال القرنين 17و18م (مذكرة ماجستير). سيدي بلعباس، قسم العلوم الانسانية: جامعة الجيلالي ليابس.

27. بلقاسم قرباش. (ماي, 2014). دور الكتابات الغربية في تشويه تاريخ الجزائر الحديث. *مجلة رفوف * مخبر المخطوطات الجزائرية في غرب إفريقيا* (4).

28. بن اشنهو عبد الحميد. (1972). *دخول الاتراك العثمانيين الى الجزائر*. الجزائر: د. ط.

29. بن رقية التلمساني محمد . (2017). *الزهرة النيرة فيما جرى للجزائر حين أغارت عليها الكفرة، تحقيق، خير الدين سعدي الجزائري*. جيجل: أوراق ثقافية للنشر والتوزيع.

30. بن سعيدان محمد. (2011-2012). علاقات الجزائر مع فرنسا 1756-1659(مذكرة ماجستير). غرداية، معهد العلوم الإنسانية والاجتماعية: المركز الجامعي بغرداية.

31. بن سعيدان، محمد. (2017). الأسطول البحري ودوره في إيالة الجزائر خلال القرن 11 هـ/ 17 م. *الحوار المتوسطي، 12*(13).

32. بن صحراوي كمال . (فيفري, 2014). الصراع الاسلامي المسيحيي ومؤشراته في البحر المتوسط خلال ق 16. *مجلة الحضارة الاسلامية*(20-21).

33. بن عبد القادر الجزائري محمد . (2001). ، *تحفة الزائر في مآثر الامير عبد القادر واخبار الجزائر*،. (حقي محمود ، المترجمون) الجزائر: مؤسسة الامير عبد القادر.

34. بن ميمون الجزائري محمد . (1981). *7 التحفة المرضية في الدولة البكداشية في بلاد الجزائر المحمية، تق وتح: محمد بن عبد الكريم، ط2*. الجزائر: الشركة الوطنية للنشر والتوزيع،.

35. بلحميسي مولاي. (1981). *الجزائر من خلال الرحالة المغاربة في العهد العثماني، ط2* . الجزائر: الشركة الوطنية للنشر والتوزيع.

36. بوحمشوش نعيمة. (جوان, 2015). دور البحرية الجزائري في الصراع العثماني الاسبانيبالبحر الابيض المتوسط خلال القرن السادس عشر. *دراسات في العلوم الانسانية والاجتماعية، 15*(1)، الصفحات 177-138.

37. بوحوش عمار . (1997). *التاريخ السياسي للجزائر من البداية ولغاية 1962*. بيروت: دار الغرب الإسلامي.

38. بوعزيز يحى. (2009). *علاقات الجزائر الخارجية مع دول وممالك أوروبا 1500-1830*. الجزائر: دار البصائر.

39. بوعزيز يحي. (2009). *الموجز في تاريخ الجزائر ج2*. الجزائر: ديوان المطبوعات الجامعية.

40. تابليت علي. (2013). *العلاقات الجزائرية الامريكية 1776-1830 ج1*. الجزائر: منشورات وزارة المجاهدين.

41. ج.او هابنسرايت. (2007). *رحلة العالم الالماني:ج.او هابنسترايت الى الجزائر وتونس وطرابلس 1145هـ- 1732م*. (سعيدوني ناصر الدين، المترجمون) تونس: دار الغرب الاسلامي.

42. جغلولي عبد القادر. (1982). *تاريخ الجزائر الحديث دراسة سوسيولوجية*. (عباس فيصل ، المترجمون) بيروت: دار الحداثة.

43. جمال يحياوي . (2004). *سقوط غرناطة ومأساة الاندلسيين 1492-1610*. الجزائر: دار هومة.

44. جميل عائشة. (2017-2018). الجزائر والباب العالي من خلال الارشيف (1520-1830)م (أطروحة دكتوراه). سيدي بلعباس، كلية العلوم الانسانية والاجتماعية: جامعة جيلالي ليابس.

45. جون, و .(2002) .*الجزائر واوربا 1500-1830*) .س. ابو القاسم (.Trad , الجزائر: عالم المعرفة.

46. جيمس ليدر كاثكارت . (1982). *مذكرات اسير الداي قنصل أمريكا في المغرب*. (العربي إسماعيل ، المترجمون) الجزائر: ديوان المطبوعات الجامعية.

47. حسن , ا .(2006) .*الجهاد البحري في مصب ابي الرقراق خلال القرن السابع عشر ميلادي* .الرباط: دار ابي رقراق للطباعة والنشر.

48. حماش خليفة. (1988). العلاقات بين ايالة الجزائر والباب العالي من سنة 1798 الى 1830، مذكرة ماجستير في التاريخ الحديث والمعاصر. كلية الآداب: جامعة الإسكندرية.

49. خالد عمر بن قفة. (2000). *الجزائر دولة البحر والياسة*. الجزائر: دار الشروق للاعلام والنشر.

50. خلاصي علي . (2007). *الجيش الجزائري في العصر الحديث* . الجزائر: دار الحضارة.

51. خلف الله سمير. (22 نوفمبر, 2016). *البحرية الجزائرية خلال العهد العثماني حروب مشروعة ام قرصنة ولصوصية*. تاريخ الاسترداد 16 افريل, 2022، من صحيفة المثقف:

جامعة محمد بوضياف - المسيلة
Université Mohamed Boudiaf - M'sila

view&https://www.almothaqaf.com/index.php?option=com_content
Itemid=786&catid=279&id=911890&=article

52. خوجة حمدان . (2006). *المرآة.* (الزبيري محمد العربي ، المترجمون) الجزائر: المؤسسة الوطنية للفنون المطبعية.

53. خير فارس محمد. (1979). *تاريخ الجزائر الحديث من الفتح العثماني الى الاحتلال الفرنسي.* بيروت: مكتبة دار الشرق .

54. خير الدين, ب .(2010) .*مذكرات خير الدين بربروسا*) .د. محمد (.Trad , الجزائر: شركة الاصالة.

55. درويش الشافعي . (31 ديسمبر, 2020). دور الجزائر في معارك البحر المتوسط خلال القرن 16م (مواجهة المشروع المسيحي). *5*(2)، الصفحات 5-19.

56. دكاني نجيب . (2001-2002). الاحتلال الاسباني للسواحل الجزائرية وردود الفعل الجزائرية خلال القرن العاشر هجري 10ه السادس عشر ميلادي 16م(مذكرة ماجيستير). الجزائر، كلية العلوم الإنسانية والاجتماعية: جامعة الجزائر.

57. ديلمي سارة، و برة نجية. (2019-2020). البحرةي الجزائرية ودورها في الصراع في الصراع الاسلامي المسيحي خلال العهد العثماني (1514-1830) (مذكرو ماستر). المسيلة، العلوم الإنسانية والعلوم الاجتماعية: جامعة محمد بوضياف.

58. رحمونة بليل. (2010). دور العمل البحري في اقتصاد إيالة الجزائر خلال القرن الثامن عشر. *الحوار المتوسطي، 2*(1)، الصفحات 19-30.

59. زغروت فتحي . (2011). *العثمانيون ومحاولات انقاذ مسلمي الاندلس 1492-1609 منذ سقوط غرناطة حتى الخروج النهائي.* مصر: الاندلس الجديدة للنشر والتوزيع.

60. زيتوني حمزة اسحاق. (2011-2012). البحرية الجزائرية وتاثيرها في العلاقات الجزائرية الفرنسية السياسية (1519-1800) (مذكرة ماجستير). غرداية، قسم التاريخ: المركز الجامعي غرداية.

61. زيتوني حمزة إسحاق. (9 سبتمبر, 2018). تطور مهام البحرية الجزائرية من الجهاد البحري الى القرصنة البحرية. *المجلة التاريخية الجزائرية*.

62. سالم علي احمد سالم . (2011). *السيطرة العثمانية على الحوض الغربي للمتوسط في القرن 16م*. الإسكندرية: مؤسسة شباب الجامعة.

63. سبنسر وليم. (2006). *الجزائر في عهد رياس البحر*. (زبادية عبد القادر، المترجمون) الجزائر: دار القصبة للنشر.

64. ستيفنز جيمس ويلسون. (2007). *الاسرى الامريكان في الجزائر 1795-1796*. (تابليت علي، المترجمون) الجزائر: منشورات ثالة.

65. سحابات زهيرة . (2014-2015). العلاقات السياسية والعسكرية بين الايالة الجزائرية والدولة العثمانية (1518 م - 1671 م)، (مذكرة الماجستير) . سيدي بلعباس، كلية العلوم الإنسانية والاجتماعية: جامعة الجيلالي ليابس.

66. سرحان حليم. (2007-2008). تطور صناعة الفن الحربية بالجزائر على عهد العثمانيين (920-1226هـ) (1514-1830م)، (مذكرة ماجيستير). الجزائر، معهد الاثار: جامعة.

67. سرحان. حليم. (2015). نظرات حول السفن الحربية الجزائرية في العهد العثماني (دراسة هستوريوغرافية) ،. *مجلة العلوم الاجتماعية والإنسانية*(09).

68. سرهنك إسماعيل . (1312هـ). *حقائق الاخبار عن دول البحار، ج1* . مصر: المطبعة الاميرية.

69. سعد الله أبو القاسم. (2007). *أبحاث واراء في تاريخ الجزائر الحديث، ج1*. الجزائر: دار البصائر.

70. سعيدونى ناصر الدين. (2009). *ورقات جزائرية دراسات وابحاث في تاريخ الجزائر في العهد العثماني ط2*. الجزائر: دار البصائر.

71. سعيدوني ناصر الدين ، و بوعبدلي المهدي . (1984). *الجزائر في التاريخ العهد العثماني*. الجزائر: المؤسسة الوطنية للكتاب.

جامعة محمد بوضياف - المسيلة
Université Mohamed Boudiaf - M'sila

72. سعيود ابراهيم . (2011). القرصنة المتوسطية خلال الفترة الحديثة القرصنة الايطالية نموذجا. *مجلة الواحات والبحوث للدراسات*(11)، الصفحات 162 - 145.

73. سعيود, ا .(2009-2010) .الاسرى المغاربة في ايطاليا خلال العهد العثماني (أطروحة دكتوراه) .الجزائر, قسم التاريخ: جامعة الجزائر 2 بوزريعة.

74. سليمة صلاح محمد . (2014). *القرصنة البحرية*. الرياض: مكتبة القانون والاقتصاد.

75. سهيل جمال الدين. (2011). ملامح من شخصية الجزائر خلال القرن 11هـ/17م. *مجلة الواحات للبحوث والدراسات*(13)، الصفحات 137-158.

76. سيدهم فاطة الزهراء. (سبتمبر, 2011). موارد إيالة الجزائر مطلع القرن التاسع عشر. *كان التاريخية*(13).

77. شاكر محمود. (2000). *التاريخ الاسلامي العهد العهد العثماني*. بيروت: المكتب الإسلامي.

78. شريط عبد الله ، و الميلي محمد . (1965). *الجزائر في مرآة التاريخ*. قسنطينة: مكتبة البعث.

79. شوادر مبارك. (2014-2015). حملة اللورد إكسموث على مدينة الجزائر 1816 وتأثيراتها الإقليمية والدولية (مذكرة ماجستير). سيدي بلعباس، كلية العلوم الانسانية والاجتماعية: جامعة الجيلالي اليابس.

80. شوفالييه كورين. (2007). *الثلاثون سنة الاولى لقيام مدينة الجزائر 1510-1541*. (حمادنه جمال، المترجمون) الجزائر: ديوان المطبوعات الجامعية.

81. عادل سعيد بشتاوي. (2000). *الامة الاندلسية الشهيدة (تاريخ 100 عام من المواجهة والاضطهاد بعد سقوط غرناطة)*. بيروت: المؤسسة العربية للدراسات والنشر.

82. عباد صالح . (2012). *الجزائر خلال العهد التركي 1514-1830*. الجزائر: دار هومة.

83. عبد القادر نورالدين. (2006). *صفحات من تاريخ مدينة الجزائر من اقدم عصورها الى انتهاء العهد التركي*. الجزائر: دار الحضارة.

84. علي عامر محمود، و خير فارس محمد. (1999-2000). *تاريخ المغرب العربي الحديث (المغرب الاقصى- ليبية)*. دمشق: الجمعية التعاونية للطباعة.

85. غطاس عائشة . (2007). ، *الدولة الجزائرية الحديثة ومؤسساتها، ط خ*. الجزائر: منشورات المركز الوطني للدراسات والبحث في الحركة الوطنية وثورة اول نوفمبر 1954.

86. قرباش , ب .(2015 / 2016) .الأسرى الأوربيون في الجزائر خلال عهد الدايات . (1671-1830)معسكر, قسم العلوم الانسانية: جامعة مصطفى اسطمبولي.

87. فراقة عبد الحميد، و بوشاهد هشام. (2015-2016). البحرية الجزائرية ونشاطها في البحر الأبيض المتوسط (1518-1830)، (مذكرة ماستر). قالمة، كلية العلوم الإنسانية والاجتماعية: جامعة 08 ماي 1945.

88. فكاير عبد القادر . (2012). *الغزو الإسباني للسواحل الجزائرية وآثاره 910-1206هـ/1505-1792م*. الجزائر: دار بومة لمطباعة والنشر والتوزيع.

89. فهمي علي محمود. (1980). *التنظيم البحري الاسلامي في شرق المتوسط من القرن السابع حتى القرن العاشر ميلادي*. (قاسم قاسم عبده، المترجمون) بيروت: دار الوحدة.

90. قنان جمال. (1987). *جمال قنان، نصوص ووثائق في تاريخ الجزائر الحديث 1500-1830، ط خ*. الجزائر: وزارة المجاهدين.

91. كواندرو روجي. (1991). *قراصنة سلا*. (حمود محمد، المترجمون) الرباط: مطبعة ومكتبة الامنية.

92. لورنس هنري، تولان جون، و فاينشتايف جيل. (2016). *أوروبا والعال الإسلامي (تاريخ بلا أساطير)*. (السباعي بشير ، المترجمون) القاهرة: المركز القومي لمترجمة.

93. ماخوفسكي ياتسيك. (2008). *تاريخ القرصنة في العالم*. (ابراهيم انور محمد ، المترجمون) القاهرة: الهيئة المصرية العامة للكتاب.

94. مبارك شوادر ، و عبد القاد صحراوي . (مارس, 2018). التكتل الاوربي ضد الجزائر فيما بين 1815-1819 وتداعياته. *الجوار المتوسطي، 09*(1)، الصفحات 123-141.

95. مبرك سامية . (2018-2019). مساهمة البحرية الجزائرية في الحروب العثمانية الاوربية في البحر المتوسط خلال القرن 16م معركة ليبانت أنموذجا (مذكرة ماستر). المسيلة، كلية العلوم الانسانية والاجتماعية: جامعة محمد بوضياف.

96. محرز امين . (2013). ، *الجزائر في عهد الاغوات 1659-1671*. الجزائر: البصائر الجديدة.

97. محمد الامين, ع .(2012-2011) .نشاط البحرية الجزائرية في القرن السابع عشر واثره في العلاقات الجزائرية الفرنسية (مذكرة ماجستير) .قسم التاريخ, غرداية: المركز الجامعي غرداية.

98. محمد, د .(2012) .، *الدخول العثماني الى الجزائر ودور الاخوة بربروس (1512-1543)*.الجزائر: شركة الاصالة للنشر والتوزيع.

99. محمد الصلابي علي محمد . (2001). *الدولة العثمانية عوامل النهوض واسباب السقوط*. مصر: دار التوزيع والنشر الاسلامية.

100. محمد عبده حتاملة. (1980). *التنصير القسري لمسلمي الاندلس في عهد الملكين الكاثوليكين (1474- 1516)*. الاردن.

101. محمد , س .(27 03 ,2020) .الأعلاج واعتناقهم الإسلام من خلال الكتابات الأوروبية 1588-1699 .*جسور المعرفة*.(1)*6* ,

1985
Université Mohamed Boudiaf - M'sila

102. محمود القيسي انيس عبد الخالق. (2008). النشاط البحري العثماني في البحر المتوسط خلال القرن السادس عشر (اطروحة دكتوراه). كلية الادب، بغداد: جامعة بغداد.

103. مروش المنور. (2009). *دراسات عن الجزائر في العهد العثماني القرصنة، الاساطير والواقع*. الجزائر: دار القصبة للنشر.

104. مشوشة سمير. (2018-2019). الموارد البحرية للجزائر العثمانية خلال القرنين 11-12هـ-17-18 م(اطروحة دكتوراه). قسنطينة، كلية الاداب والحضارة الاسلامية: جامعة الامير عبد القادر للعلوم الاسلامية.

105. مؤلف مجهول .(2009) .*سيرة المجاهد خير الدين بربروس في الجزائر، تحقيق وتقديم، عبد الله حمادي* . الجزائر: دار القصبة للنشر.

106. نايت بلقاسم مولود قاسم. (2007). *شخصية الجزائر الدولية وهيبتها العالمية قبل 1830 ج1*. الجزائر: دار الامة.

107. نيفين مصطفى حسن سعد. (2013). دور الأخوين خير الدين بربروس وعروج في مقاومة الاستعمار الأسباني في شمالي افريقيا. العرب والترك عبر العصور (الصفحات 787-761). الإسماعيلية: جامعة قناة السويس.

108. هايوود روبيرت ، و سبيفاك روبيرتا . (2014). *القرصنة البحرية*. ابو ضبي: مركز الامارات للدراسات والبحوث الاستراتيجية.

109. هلايلى. حنيفي. (2007). التنظيم العسكري للبحرية الجزائرية خلال العهد العثماني. *مجلة جامعة الأمير عبد القادر للعلوم الإسلامية*(24).

110. هلايلي حنيفي . (2014). (القضية المورسكية في الفضاء العثماني الجزائري على ضوء الفرمانات العثمانية (1492-1614)). *الملتقى الدولي الثاني حول العلاقات الجزائرية التركية في ميزان التاريخ، السياسة، الثقافة، الاقتصاد*. بسكرة: جامعة محمد خيضر.

111. هلايلي. حنيفي. (2007). *بنية الجيش الجزائري خلال العهد العثماني*. الجزائر: دار الهدى.

112. وليام , ش .(1982) .*مذكرات قنصل امريكا بالجزائر 1816-1824*) .ا. اسماعيل (.Trad , الجزائر: الشركة الوطنية للنشر والتوزيع.

113. (2004). (موقع عماد إسلام) تاريخ الاسترداد 05 مارس, 2022، من الباحث السلفي: https://www.imadislam.com/index.html

قائمة المصادر والمراجع الأجنبية

1. Albert, d. (1872). *Le registre des prises maritimes : document authentique et inédit concernant le partage des captures amenées par les corsaires algériens.* Alger: jourdak.
2. Clement , V. (2013 , juin 29). La piraterie dans la Mediterranee antique : representations et insertion dans les structures economiques(thése doctorat). Toulouse : Universite Toulouse le Mirail.
3. Daniel , p. (2003). les corsaires barbaresques. la fin d'une épopée, 1800-1820. *revue d'histoire moderne et contemporaine*(4), pp. 179 - 182.
4. Daniel, P. (2002, décembre 15). Les Esclaves et leurs rançons chez les barbaresques (fin XVIII- Début.XIX siècle). *Revue, Cahiers de la Méditerranée, 65*.
5. De Grammont, H. (. (1887). *Histoire d'Alger sous la domination turque (1515-1830).* paris: Ernest leroux, éditeur.

جامعة محمد بوضياف - المسيلة
Université Mohamed Boudiaf - M'sila

6. diego, d. h. (1870). *topographie et histoire générale d'Alger.* (MM. Monnereau, & A. Berbrugger, Trads.) paris: imprimé à valladolid.

7. diego, d. h. (1881). *histoire des rois d'alger.* (d. h.d, Trad.) alger: Adolphe Jourdan, Libraire éditeur.

8. Francis , B. (2007). Pirates et corsaires en Nouvelle-France. *La revue d'histoire du Québec*(90), 10-14.

9. henri, g. (. (1910). *histoire générale de l'algérie.* Alger: imprimerie p. crescenzo, voutes bastion nord.

10. Laugier , d. (1837). *Histoire du royaume d'Alger.* Amsterdam: , Henri du Sauzet.

11. Moulay , b. (1996). *marine et marins d'Alger (1518-1830) , t1.* Alger : Bib Nationale Algérienne.

12. Pierre , d. (1649). *Histoire de Barbarie et de ses corsaires.* paris: pierre rocolet, imprimeur et libraire ordinaire du ray au palais, aux armes du ray et de la ville.

13. Shaw, d. (1830). *Voyage dans la régence d'Alger, ou description géographique, physique, philologique, etc. De cet état, tr de l'anglais : j. mac cauthy,.* Paris: marmn.

14. Xavier Labat, V. (2002, Août). La course et corso en méditerranée du XVI, au XIX siècle. *Revue Clio*.

فهرس المحتويات

فهرس المحتويات

مقدمة: .....أ

المدخل التمهيدي: البحرية الجزائرية خلال العهد العثماني 5

المبحث الأول: التشكيل البشري للبحرية الجزائرية خلال العهد العثماني 7

المطلب الأول: ديوان الرياس 7

المطلب الثاني: طائفة الرياس 8

المطلب الثالث: طاقم السفينة..... 9

المبحث الثاني: الحجم المادي للأسطول الجزائري خلال العهد العثماني 11

المطلب الأول: تطور الأسطول الجزائري خلال العهد العثماني..... 11

المطلب الثاني: أنواع وحدات الاسطول الجزائري..... 14

الفصل الأول: أطروحة القائلين بأن النشاط البحري الجزائري هو قرصنة بحرية.....17

المبحث الأول: القائلين بهذا الطرح وأدلتهم 19

المطلب الأول: ماهية القرصنة..... 19

المطلب الثاني: نشاط البحرية الجزائرية في نظر الكتابات الغربية..... 23

المطلب الثالث: قضية الأسرى المسحيين في الجزائر 29

المبحث الثاني: نقد وتحليل هذه الأطروحة 32

المطلب الأول: الأوربيون هم السباقون لظاهرة القرصنة..... 32

المطلب الثاني: رياس البحر مجاهدون وليسوا لصوص بحر 35

المطلب الثالث: الأسرى في الجزائر بين الحقيقة التاريخية والدعاية الاستعمارية..... 37

الفصل الثاني: أطروحة القائلين بالجهاد البحري 40

المبحث الأول: القائلين بهذا الطرح وأدلتهم..... 43

المطلب الأول: سقوط غرناطة ونشأة الجهاد البحري في الحوض الغربي للمتوسط..... 43

المطلب الثاني: انضمام الجزائر للدولة العثمانية وتزعمها للجهاد البحري 49

المطلب الثالث: البحرية الجزائرية وحركتها الجهادية..... 54

جامعة محمد بوضياف - المسيلة
Université Mohamed Boudiaf - M'sila

المبحث الثاني: نقد وتحليل هذه الأطروحة 63
المطلب الأول: تطور مهام البحرية الجزائرية من الجهاد إلى الغزو البحري (1577-1711) م. 63
المطلب الثاني: البحرية الجزائرية وتأثيرها الدبلوماسي (1711-1830) م 66
الفصل الثالث: الرؤية التاريخية لنشاط البحرية الجزائرية خلال العهد العثماني.....68
المبحث الأول: الكتابات الغربية ودورها في تشويه صورة البحرية الجزائرية..... 70
المطلب الأول: الخطاب الديني المتعصب وأثره في تأجيج الصراع في البحر المتوسط..... 70
المطلب الثاني: الدعاية الأوربية ضد الإسلام في الفترة الحديثة 71
المطلب الثالث: المدرسة الاستعمارية ودورها في تحريف حقيقة نشاط البحرية الجزائرية..... 72
المبحث الثاني: البعد الاقتصادي لنشاط البحرية 76
المطلب الأول: الغنائم البحرية للأسطول الجزائري 76
المطلب الثاني: المدخول المالي للأسرى في الجزائر خلال العهد العثماني 77
المطلب الثالث: الإتاوات والهدايا الإلزامية..... 78
الخاتمة 82
الملاحق.....86
قائمة المصادر والمراجع.....91
فهرس المحتويات.....105

جامعة محمد بوضياف - المسيلة
Université Mohamed Boudiaf - M'sila